مطبوعات الشعب

ثقافة وعلوم إنسانية للشعب



.. وانطلقت المدافع عند الظهر

اللواء

محمد عبد الحليم أبو غزالة

مطبوعات الشعب
ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب
تصدر عن مؤسسة
دار الشعب
للصحافة والطباعة والنشر
رئيس مجلس الادارة
جمال الدين زكى
المدير العام
مصطفى فواز
رئيس قطاع النشر
سعاد قنديل

الادارة: ٩٢ شارع قصر العينى - بالقاهرة
ت ٣٥٥١٨١٠/ ٣٥٥١٨١٨/ ٣٥٤٣٨٠٠/ ٣٥٥٧٧٢٠/ ٣٥٤٤٤٤١
تلكس دولى: ٢٠٥٧٤ - ص. ب ١٤ - رقم بريدى ١١٥١٦

لواء ا.ح محمد عبد الحليم ابو غزاله

وانطلقت المدافع عند الظهر

المدفعية المصرية من خلال حرب رمضان

الطبعة الثانية

يناير ١٩٧٥

الغـــلاف : بريشة الفنان ناجى كامل

الاعداد الفنى : ادارة الصحافة والنشر بمؤسسة دار الشعب

الناشر

مؤسسة دار الشعب

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

٩٢ شارع القصر العينى ت : ٢١٨١٠

رئيس مجلس الادارة

« احمد ابراهيم حمروش »

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أدت المدفعية المصرية دورها في حرب العاشر من رمضان - وكما أدته في جميع المعارك التي خاضتها في ماضيها وحاضرها - على أكمل ما يكون الأداء ، وكما سوف تؤديه في مستقبلها .

إن المهام التي حققتها المدفعية خلال مراحل المعركة المختلفة منذ عام ١٩٦٧ في مرحلة الصمود والردع والاستنزاف واقتحام القناة والاستيلاء على رؤوس الكباري كانت مهام خطيرة وبدأت المعركة بتمهيدها النيراني وفرضت إرادتها كاملة على أرض القتال ومكنت مشاتنا ومدرعاتنا من تحقيق أهدافها . وكان للمدفعية اليد الطولى ولا تزال في ردع العدو في عمق أعماقه .

لقد تدافع رجال المدفعية لتأدية واجبهم ، واستشهد منهم من استشهد وكم مقاتل على مدفعه لم يتركه قط حتى ذاق الممات يحدوهم في ذلك تقاليدهم وأمثالهم .

إننا نحييهم رجالاً آمنوا بوطنهم وثورتهم وبحقهم في حياة حرة كريمة .

أنور السادات

تقـــديم :

الفريق محمد سعيد الماحى

« ان المدفعية المصرية الرهيبة لعبت اخطر الادوار » .

بهذه الكلمات الواضحة الحاسمة وصف صانع القرار الخطير لحرب أكتوبر الرئيس محمد أنور السادات ما قامت به المدفعيـة فى هذه الحرب .

لقد كانت المدفعية دائما وفى كل الحروب التى خاضتها القـوات المسلحة المصرية عبر التاريخ كانت صاحبة الدور الرئيسى فيهـا . وذلك محصلة عمل شاق وجاد لم يمتد خلال ايام او شهور ولكنه امتد عبر سنين وقرون .

ولقد اتصف رجال المدفعية دائما بالشجاعة والاصالة والرجولة وورثوها جيلا بعـــد جيل . ومن هؤلاء الرجال « أبو غزالة » كاتب هذه الفصول .

امتدت معرفتى به سنين طويلة . عرفته شابا متحمسا وطنيـــا مخلصا . كان من منجزى ثورة ٢٣ يوليو ونهل من مناهل العلم والمعرفة وخبر فنون المدفعية بمدارسـها المختلفة وبرز فيهـــا . وتمرس فى مناصبها صغيرها وكبيرها فكان القائد الصغير الطموح وكان المعلم الفذ صاحب المدرسة . وتوج ذلك كله بشجاعته واقدامه خلال معـــارك ٦ اكتوبر واثبت فيها اصالة الجندى المصرى .

كان لشجاعته وشخصيته ثباته خلال فترة من احلك فترات القتال حين كادت السيطرة على القوات أن تضيع ـ تمكن من فرض سيطرته على هذه القوات فتماسكت وثبتت ودمرت العدو وردته على اعقابه .

حين يتحدث أبو غزالة عن المدفعية فى ٦ اكتوبر فانما يتحدث عنها حديث الرجل المجرب والقائد المتمرس الذى اشترك فيها خطوة خطوة ومرحلة مرحلة فى التخطيط والتدريب والتنفيذ . فاداها بنفســه فى مسرح القتال فهو بذلك يتحدث من موقع المشاركة الفعلية ومن موقع القيادة والمسئولية .

وهو بذلك حديث الصادق الامين .

السر الحربي

المدفعية المصرية الحديثة

تاريخ مشرف

الفخر - المجد - الشرف

اعترافات

« انتهت خرافة تقول بان العرب ليسوا محاربين ... لقد طمست حرب ١٩٦٧ من ذاكرة العالم ان المحاربين العرب نشروا يوما ما دعوة الاسلام فى نصف العالم المتحضر » .

النيوزويك

« برهن المصريون على مقدرة جنودهم على القتال ... وقدرة ضباطهم على القيادة ... وقدرتهم على استخدام احدث الأسلحة » .

صحيفة التايمز البريطانية

١٦ أكتوبر ١٩٧٣

« اعترف الجنرال هرتزوج المعلق العسكرى الاسرائيلى للاذاعة العبرية بانه للمرة الأولى منذ عام ١٩٤٨ يخوض الجيش الاسرائيلى حربا دفاعية . وقال ان المعركة ليست سهلة وستكلفنا ضحايا باعداد كبيرة » .

٧ أكتوبر ١٩٧٣

« قال الجنرال شمويل جونين قائد الجبهة الجنوبيــة : « انه يبدو ان حجم القوات ضخم وعملية الهجوم ضخمة والعتاد ضخم والمدفعية المضادة للدبابات ضخمة » .

ى ب ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣

اكد احد القادة الاسرائيليين الذى كان مسئولا عن خط بارليف لمجلة شيتون الالمانية الغربية أن المدفعية المصرية صبت على هذا الخط كمية غزيرة من النيران بصورة لم يشهدها من قبل على

الاطلاق . واضاف يقول : ((اننى اعتقد أن الجندى الاسرائيلى قد اذهلته المفاجاة ولم يفهم حقيقة ما حدث))

ى ب ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣

تصريحات اهارون يلريف :

((انه حتى الآن وخلال ثلاثة ايام ونصف من القتال لم يتول الأجانب اى قيادة للقوات العربية ولكن تضاعف أثرهم بما لديهم من معدات حيث أصبحوا يشكلون عبئا ثقيلا على اسرائيل)) .

أ س تل ابيب ١٠/٩

قال روبرت ستيفنز يعرض آراء العسكريين الانجليز فى صحيفة الأوبزرفر البريطانية فى ٧٣/١٠/٢١ :

((ان خبيرا عسكريا بريطانيا بارزا هو البريجادير كينيث هانت نائب مدير المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية :

يعتقد أن حرب الشرق الأوسط قد غيرت بالفعل افكارا عديدة عن التوازن بين الطائرات المقاتلة والدفاع الجوى ، وبين الدبابات ووسائل المدفعية المضادة لها . لقد واجهت السيطرة التى تمتع السلاح الجوى الاسرائيلى تحديا خطيرا من جانب الصواريخ العربية كما أصبح تفوق الدبابات الاسرائيلية فى المعركة موضع شك كبير)).

بعث الضابط آموس برسالة الى زوجته جاء فيها :

((اذا كانت قد كتبت لى النجاة فى تلك الليلة (ليلة ١٨ اكتوبر ١٩٧٣) فان ما حدث كان معجزة ، ذلك ان القذائف المصرية لم تكف عن تدمير تجمعاتنا ومواقعنا طوال الليل ، اننى لا استطيع أن افهم كيف نجوت مع بعض الجنود من هذا الجحيم)) .

(كتاب حرب كيبور)

الباب الأول

من صفحات التاريخ

١ ـ المدفعية فى العهود القديمة

منذ أكثر من ألفى عام كانت توجد المنجنيقات ، التى تعتبر أساس المدافع الحديثة ، ولكنها كانت ضخمة جدا ، الأمر الذى جعلها تستخدم اساسا فى الحصار وفى الدفاع عن الحصون . وكانت الحصون فى ذلك الوقت عبارة عن مدن تحاط بأسوار عالية جدرانها حجرية سميكة كما تحاط أيضا بخنادق عميقة .

وكان المدافعون المحاصرون يتحصنون داخل المدينـة فى حين حاول القائمون بالحصار مهاجمة الحصن للاستيلاء عليه وكثيرا ما كان الهجوم يتم ليلا حتى يمكن استخدام الظلام للوصول الى جدران سور المدينة خفية وتسلق هذا السور ومفاجأة المحاصرين ، ولهـذا الغرض كان المقاتلون يحملون سـلالم متنقلة طويلة وذلك لوضعها على الأسوار وتسلقها .

واذا كان المحاصرون حذرين فان الهجوم غالبا ما يفشل وذلك لتوافر ميزة هامة للمحاصرين الا وهى انهم كانوا قادرين على ضرب المهاجمين المكشـوفين فى الوقت الذى توفرت لهم السـواتر التى تحميهم (تحت ستر الأسوار والأبراج) . فاثناء تسلق المهاجمين السلالم كان المدافعون يلقون الحجارة عليهم ويرموهم بالسـهام والرماح وسكب القار المغلى والكبريت عليهم ومن يتمكن بالرغم من ذلك من الوصول الى أعلى الحـائط يقابل بالسيف ويلقى خارج السور .

واحيانا يقوم المهاجمون بتكرار الهجوم ، ولكن كثيرا ما تكون الخسائر من الكبر بحيث يتردد القائد فى معاودة الهجوم .

ونظرا لطبيعة اسلحة الهجوم فى ذلك الوقت فلقد جعلت الحوائط

الحجرية (الاسوار) من المدن حصونا لا يمكن أن تنثلم ، ولما كانت المدن فى حد ذاتها هى الهدف الرئيسى للمهاجم فكثيرا ما فشلت اكبر الجيوش واشجعها فى الاستيلاء على بلد حصينة . لذلك فكثيرا ما لجأ الطرف المهاجم الى القيام بحصار المدينة والقيام بعمل ثغرات فى اسوار المدينة ثم الاندفاع داخل المدينة خلال هذه الثغرات .

ولما كانت السيوف والرماح لا يمكنها اختراق الحوائط ، تطلب الأمر وجود اسلحة خاصة للقيام بهذا العمل وهنا ظهرت المنجنيقات . وعليه فطوال ايام الحصار العديدة كان المهاجمون يقومون بسحب طوابير من العربات المحملة بكتل خشبية ومواد اخرى كثيرة خاصة بالبناء او اجزاء من المنجنيقات التى يتطلب الأمر حين نقلها فكها الى أجزاء نظرا لضخامتها . وحين وصول هذه الاشياء الى مكان الحصار يبدأ عمل النجارين . وتمر ايام غير قليلة قبل ان تتم صناعة او تجميع هذه المنجنيقات .

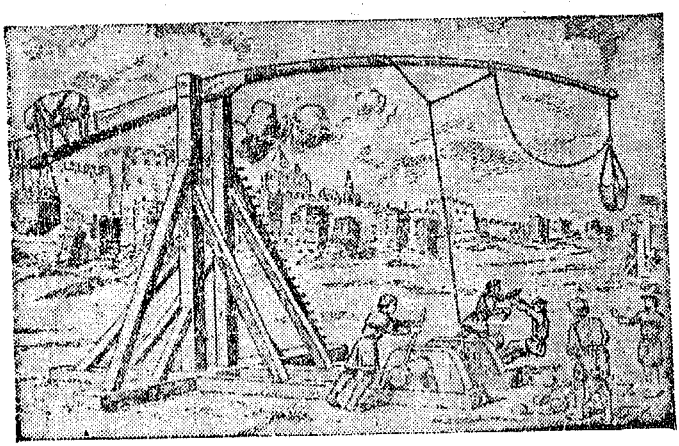
بعد ذلك عندما تكون المنجنيقات جاهزة يخصص للعمل على كل منها عدد من المقاتلين الذين يقومون بتجهيزها للاطلاق ، وبعد مجهود طويل ومضن تصبح الآلة (المنجانيق) جاهزة للعمل . وكانت كل آلة تقذف كتلا خشبية او كتلا حجرية ثقيلة تزن كل منها ٤٠ ــ ٥٠ كيلو جرام . وعليه كانت الاحجار والكتل الخشبية تنطلق لتتساقط على المدينة المحاصرة فتصطدم بجدار السور وتفتت اجزاؤه جزءا بعد جزء فى حين ينطلق البعض الآخر مارا فوق السور ليتساقط داخل المدينة محدثا تدميرا فى اسقف المنازل وقتل السكان .

ما هى تلك المنجنيقات ؟

وكيف كانت تبنى ؟

لقد كانت المنجنيقات التى استخدمت فى الأزمنة الغابرة تشبه المقلاع (النبلة) الذى يستخدمه الأطفال فى قذف الحجارة اثنــاء لعبهم . ولكن كانت هذه القواذف (المقاليع) من كبر الحجم بحيث كان يلزم لنقل الكتل الخشبية واللازمة لبناء قاذف واحد عدد من العربات وبدلا من القطع الخشبية التى يصنع منها المقلاع للأطفــال يستعاض عنها بحزم قوية من الحديد وأعمدة يتم غرسها فى الأرض بواسطة آلة رافعة ثم يقوم المقاتلون بسحب (بلف) حبل سميك طرفه مثبت فى طوقين . وهذه الأطواق (الحلقات) تثبت أو تركب فى حبال ملوية أو أوتاد .

وبواسطة الرافعة يجهز المنجانيق للضرب ويثبت فى وضــع التعمير بواسطة خطاف ثم بعد ذلك يعمر بحجر او كتلة خشــبية (شكل ١) ويشد المانع .



شكل (١) كيفية تجهيز برج مهاجمة الحصون للضرب

ان الصفيرة من الحبال التى يتم ليد بشــدة تحاول ان تعــود لوضعها الاول عند تركها فتدور بسرعة مديرة معها الأطواق . عند تفك الحبال من الرافعة فيندفع الحجر أو الكتلة الخشــبية بقوة منطلقة لمسافة ٢٠٠ — ٣٠٠ متر .

هذه هى القواذف التى كانت تستخدم فى العهود الغابرة كمـا استخدمها الأشوريون ثم تبعهم فى استخدامها اليونانيون والرومانيون وكثير من الأمم القديمة .

ولقد كانت هنالك أنواع وأشكال أخرى من القواذف (المنجنيقات) أطلق عليها العرادة (القذافة الحربية القديمة ، المنجانيق) ويطلق عليها بلغة العراق النبلة الصيادة وكانت قاعدة هذا القاذف عبارة عن اطار (برواز) مصنوع من عروق خشبية سميكة عليه قائمان سميكان وعارضة ، يذكراننا بالبوابة ، وتدخل النهاية السفلى للعرق الخشبى — الذى يعمل كرافعة لقذف الحجارة الثقيلة — فى ضفيرة الحبال الملوية ، أما الطرف العلوى للرافعة فلقد كان يأخــذ شكل الملعقة .

وبواسطة آلة رافعة يسحب الطرف العلوى للرافعة لأسفل حتى يقترب من الارض ثم يوضع الحجر (أى يصير تعمير القاذف) ثم تحرر الرافعة من الآلة الرافعة فتدور الضفيرة (الحبال الملوية) بسرعة الأمر الذى يسبب ادارة الرافعة ، فيرتفع طرفها (الذى على شكل الملعقة) بسرعة ويصطدم بقوة كبيرة فى العارضة — وبذلك تنطلق الدانة الحجرية من الملعقة (شكل ٢) . وكانت قوة الصدمة من الكبر بحيث يمكن للحجر أن يطير لمسافة عدة مئات من الأمتار .

وطوال مدة القصف هذه يقوم المهاجمون بنقل وردم الخندق الذى يحيط بسور المدينة المحاصرة فى حين يقوم المدافعون بقــذفه

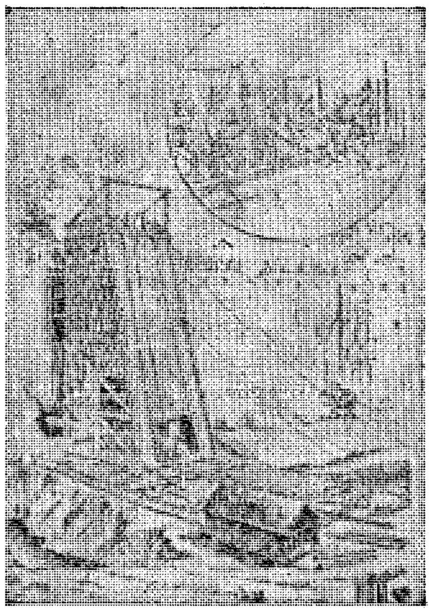


شكل (٢) الضرب بالمنجانيق (القذافة الحربية القديمة)

المهاجمين القائمين بهذا العمل بواسطة الحجارة كما يصبون عليهم القار المغلى من أعلى الأسوار ، وكان المهاجمون يتقون بذلك بواسطة مظلات خشبية خاصة مركبة على عجل وكذا تحت مظلات خشبية طويلة لا تعوقهم أثناء العمل وبهذا فكثيرا ما نجح المهاجمون فى عمل ممر عبر الخندق طوله مائة متر وعرضه عشرون مترا .

وبعد جهد طويل وخسائر كبيرة فى القوة البشرية يقوم المقاتلون والعبيد بدفع الأبراج الضخمة على الممر . وكان ارتفاع هذه الأبراج

يصل الى حوالى خمسة او ثمانية أدوار (حوالى ٢٠ ــ ٢٥ متر) .
وبمجرد وصول البرج الى جانب جدران سور المدينة المحاصرة يبدأ المقاتلون الموجودون فى الأدوار السفلى من البرج فى دفع كتلة كبيرة خشبية معلقة فى نقطتى ارتكاز (محورين) وبقوة كبيرة لتضرب الحائط بمقدمها الذى ينتهى بطرف معدنى .



شكل (٣) برج حصار وصل الى حائط المدينة المحاصرة فى الدور السفلى من البرج يضرب المقاتلون الحائط باداة حربية تستخدم لنطح السفن وذلك لعمل ثقب فى الحائط .
وفى الدائرة الموجودة فى الشكل (اعلى ولليمين تبين السطح العلوى للبرج وعليه بعض المنجنيقات الصغيرة تعمل على طرد المدافعين بعيدا عن السور) .

وهكذا تعمل الأداة الحربية التى تشبه تلك التى تستخدم لنطح السفن وتظل هذه الآلة تضرب السور حتى يتم عمل ثقب (ممر) خلاله .

ويحاول المدافعون حرق هذه الأبراج وذلك بسكب قار مغلى على هذه الأبراج ، وكثيرا ما نجح المدافعون فى ذلك ، وعندئذ كان على الماجمين أن يقوموا ببناء أبراج أخرى جديدة .

وعموما ففى الأزمان الغابرة نجح المهاجمون فى حفظ أبراج الحصار من الحريق وذلك بتبطين البرج من ثلاث جهات برقائق من الصلب أو النحاس وبذلك أصبح اشعال هذه الأبراج أمر بالغ الصعوبة ، ولقد استخدم الصليبيون فى غزواتهم للشرق الأوسط العربى أبراجا من هذا القبيل وبهذا تمكنوا لفترة ما من الحصول على انتصارات على الجانب العربى حتى تمكن العرب من اختراع النيران السائلة أو كما سميت فى بعض كتب التاريخ بالنيران الاغريقية وبهذا تمكنوا من التغلب على هذه الأبراج التى كانت تمثل خطرا داهما على المدن المدافعة .

وهذا ولقد جهز السطح العلوى للأبراج بالمنجانيقات والقواذف الصغيرة وهى نسخ من شقيقاتها الضخمة (شكل ٣) . وكان واجب هذه المدفعية الخفيفة ضرب قلب المدينة المحاصرة .

وكان مثل هذا الحصار يستغرق عدة أسابيع عادة بل وعدة أشهر ، فتصبح الحياة فى المدينة غير محتملة فالحجارة تتطاير هنا وهناك فتدمر المنازل ويقاسى السكان من الحرمان نتيجة للنقص فى المؤن وكثيرا ما بنى المهاجمون السدود لمنع المياه من الوصول الى المدينة المحاصرة .

وبمرور الوقت تبدأ جدران الأسوار فى التصدع تحت ضربات أداة الطرق ، وفى النهاية يقرر قائد الجيش القيام بهجوم حاسم .

وفى ذلك الوقت كان المهاجمون يستخدمون بعض عناصر المفاجأة المستحدثة وذلك بقـذف براميل مملوءة بالمواد التى يحدث من اشتعالها دخان وحرائق (الدانات الحارقة للأزمنة الغابرة) — فتنتشر الحرائق فى المدينة مع انتاج دخان كثيف فى انحائها .

وبالقصفات التالية تردم المدينة بمئات من قطع الحجارة ثم يندفع المهاجمون مطلقين صيحات ويتسلقون الأسوار عن طـريق الابراج وبواسطة السلالم . واذا لم يتمكن المدافعون من المقـاومة فان المهاجمين يحتلون المدينة .

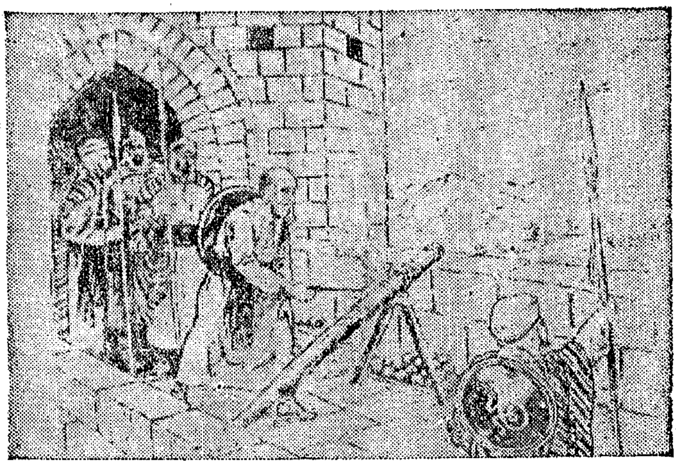
واثناء المعركة الطاحنة داخل المدينة المقتحمة يبذل السكان كل غال ورخيص للدفاع عن ارواحهم لمعرفتهم بالمصير المظلم الذى ينتظرهم الا وهو العبودية أو الموت .

متى ظهر المدفع لأول مرة ؟

ومرت مئات السنون قبل ان تتغير الطرق المتبعة فى الحصار وفى الدفاع عن الحصون وكان للقرن الرابع عشر نصيب كبير فى هذا المضمار ، ففى هذا القرن ظهر خلف أسوار المدينة سلاح جديد غير مزود بونش (آلة رافعة) ولا بروافع ثقيلة ولا تتطلب صناعته عمل عشرات النجارين . وكل ما يتكون منه هـذا السلاح (القاذف) ماسورة وسـبية (شكل ٤) . يوضع فى الماسـورة شيء ما ، ثم يقترب من هـذه الماسورة شخص واحد فقط ، ولا يقوم هـذا الشخص بسحب أو شد ما كنا تعودنا أن نرى فى المنجانيق وانمـا يقرب من الماسورة عصا من الحديد فى طرفها لهب — ويرتفع فجأة صوت كالرعد ويندفع من الماسورة لهب ودخان وتنطلق منها كرة من الحديد .

« ان هذا العمل من أعمال السحرة » — هكذا كان يفكر الناس الذين كانوا يؤمنون بالشعوذة . ماذا يدفع الكرة طالما لا توجد فى

السلاح ابة روافع ؟ لا شك أنه الشيطان ! يا الله ، وكيف اذا يمكن محاربة قوى الشيطان ؟



شكل (٤) المدفع العربى ـ احد الاسلحة النارية الاولى ـ جاهز للضرب بواسطة عود من القنب المشتعل يقوم صانع الاسلحة بالضرب

أما الجنود الذين قابلوا هذا السلاح الجديد لأول مرة فقد فروا من الرعب طلبا للنجاة . ولقد حدثت بعض الحوادث التى تظهر لنا الآن انها اشياء مضحكة . فعلى سبيل المثال اثناء حصار المدينة الاسبانية التى كانت فى ذلك الوقت فى يد العرب حاول القساوسة الكاثوليك طرد « القوى الغير طاهرة (على حد تعبيرهم) بالصلاة ، والتلويح بالصلبان وكذا برش المياه المقدسة ثم بعد

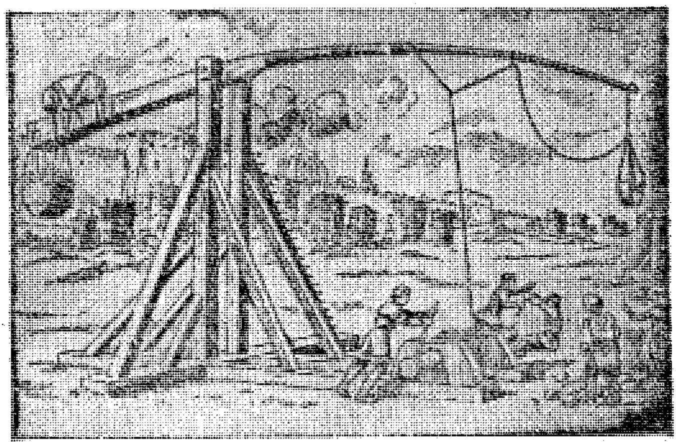
ذلك فقط قام الجنود الاسبان بمعاودة الهجوم » . ولكن « القوى الغير طاهرة لم تجزع من الصلاة ولم تطردها الصلبان . وعاود السحرة الذهاب الى الأسلحة وكل منهم يحمل عودا مشتعلا ومرة اخرى ينطلق من المواسير نار ودخان مع صوت كالرعد وتتساقط على المهاجمين الكرات (القذائف) فتقتل من الجنود من تصيبه ومن لم يصب يفر طلبا للنجاة » . وقرر الاسبان عدم محاربة تلك القوة المجهولة وانسحب الجنود الملكيون بعيدا عن المدينة ، ولم تتمكن اية قوة أن تجعلهم يعاودون الهجوم مرة أخرى . بعد هذه الحادثة انتشرت الأنباء المقلقة فى أنحاء أوروبا عن القوة المجهولة التى تقذف القذائف محدثة رعدا وصوتا ودخانا ولهبا لا تعرف الرحمة ولا تخاف الصليب . وأسرعت الكنائس الكاثوليكية فى صب اللعنات على السلاح الشيطانى الجديد .

ولكن كان هناك التجار الذين جابوا كثيرا من البلدان ـ فقاموا بتوضيح الأمر لمواطنيهم وتعريفهم بانه لا توجد هنالك اية معجزة أو سحر فى الموضوع وان الصينيين قد اكتشفوا من قديم الزمان انه لو تم خلط نترات البوتاسيوم بالفحم وتقريب أى لهب من هذا المخلوط فسيشتعل المخلوط بسرعة مولدا دخانا كثيرا . ولقد صنع الصينيون منذ القدم هذا المخلوط واشعلوه فى الأعياد طلبا للمرح واللهو ثم وضع المقاتلون العرب هذا المخلوط فى أنبوب (ماسورة) واستخدموه كمادة قاذفة تدفع المقذوفات الى مسافات ما وشيئا فشيئا بدأت صناعة هذه الأسلحة بواسطة الأوروبيين .

السلاح خطير على مستخدميه :

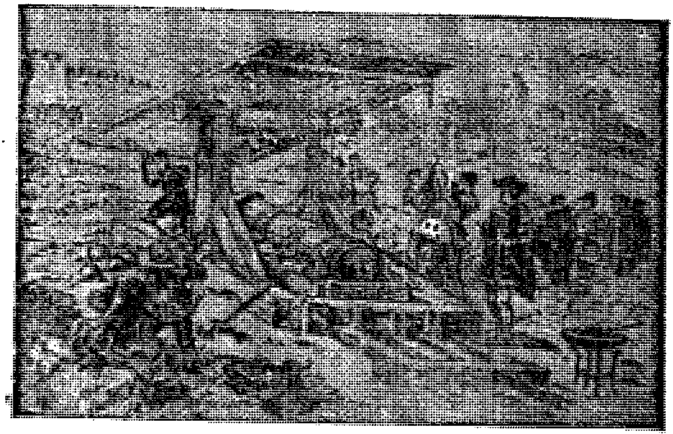
ولكن ظل هذا السلاح معيبا لمدة طويلة ولذلك فانه عند محاصرة مدينة ما فالى جانب الأسلحة النارية كانت تجلب أيضا القواذف القديمة المعروفة منذ قديم الزمان (المنجنيقات) وكان هذا المشهد مألوفا فى القرن الخامس عشر فغير بعيد عن حائط المدينة المحاصرة

يقف القاذف ذو المنظر الكئيب الذى يشبه المقلاع (شكل ٥) والكبير الشبه بالشادوف الذى يستخدم فى جلب المياه من الآبار .



شكل (٥) القدع الكبير وهو يجهز لقذف دانته على المدينة المحاصرة

ويوجد على الذراع القصير من الشادوف ثقل كبير . ويبذل عدد من الأشخاص جهدا كبيرا فى رفع هذا الثقل الى أعلى وضع له . وعلى الذراع الطويل يتم وضع الحجر فى الانشوطة (الخية) ثم يحرر الشادوف فجاة فيدفع الثقل الذراع القصير لاسفل ويرتفع الذراع الطويل بسرعة لاعلى ويقذف الحجر فجاة لاعلى . كان المنجانيق الذى على شكل شادوف كبير الحجم وقبيح المنظر اذا ما قورن بالمنجنيقات التى استخدمت فى العصور القديمة ، هذا الى جانب انه كان اضعف منها ولذلك كان يقذف حجارة زنة عشرين كيلوجرام لمسافة ١٥٠ متر فقط .



شكل (٦) تعمير المدفع الكبير

وليس بعيدا عن هذا المنجانيق الذى يشبه الشادوف كانت بوضع الأسلحة النارية ـ المدفع الكبير (شكل ٦) . وهو عبارة عن ماسورة سميكة حديدية مصنوعة من شرائط من الحديد وتوضع وتثبت مثل هذه الماسورة فى كتلة خشبية بواسطة سلاسل من الحديد .

والجزء الخلفى من الماسورة الذى يمكن فصله عنها به متبم يوضع فيه عجينة لزجة من البارود . ثم يعمر المدفع بعد ذلك بكرة من الحجر ويركب الجزء الخلفى (القاعدة) بالماسورة ويشحم الخلوص بين هذه القاعدة والماسورة بواسطة الطفل (رلصلصال ة لم تثبيت القاعدة بالماسورة بواسطة خابور ثم يوضع خلف القاعدة

مصد (عرق خشب) حتى لا تقذف القاعدة بعيداً عند الضرب . وفى النهاية يوضع فى فتحة القاعدة فتيل طويل يتم اشعاله بواسطة عصا من الصلب محماة أو طرفها به لهب . ولقد كانت فى هذه المدافع عيوب مختلفة فكان الحديد الذى تصنع منه جدران الماسورة غير قوى فحدث أن انفجرت عدة مدافع فاحترق وجرح ومات المحيطون بها . وخاف المحاربون الوقوف بجوار اى مدفع جديد وقيل أن هذه المدافع أكثر خطورة على أصحابها مما هى على العدو . فهل كان هذا حال القواذف القديمة ؟ نعم لم يكن يخرج منها دخان ولم يحدث عنها دوى مما يؤثر على العدو لو كان سرعان ما اعتاد الجميع على الدوى والدخان ولم يعد هنالك من يخافها . أما العمل على القواذف القديمة فقد أصبح سهلا ومأمونا .

« فليقم الصناع الذين يقومون بصناعة تلك المدافع الغير متينة باستخدامها والضرب بها » . هكذا كان يقوم المحاربون . وعليه فلقد كان لزاما على هؤلاء الصناع وصبيانهم أن يعملوا على هذه الآلات فيقومون بتوجيه هذه المدافع وكان هذا التوجيه يستغرق مدة ساعات مستخدمين فى ذلك كتلا خشبية لرفع أو خفض الماسورة . ثم يقومون باختيار كمية البارود اللازمة (العبوة) أما بالقياس أو بالعين المجردة فى مرة يزيدونها ومرة ينقصونها وهكذا وفى النهاية يقوم الصانع باشعال الفتيل ويختبىء فى حفرة توجد الى جوار المدفع . وكان هذا العمل يعتبر بمثابة اشارة للمحاصرين كى يختبئوا خلف ثنيات الحوائط وبذلك لا تصيبهم القذيفة بخسائر كبيرة . وفى بعض الحالات قبل الضرب كان الصناع يصلون كى تصيب الطاقة الهدف ولكى لا ينفجر المدفع .

فى عام ١٤٥٣ عندما هاجم الأتراك بيزنطة استخدموا المورتر الذى كان فخر المعسكر التركى وكان هذا المورتر يقذف مقذوفات حجرية زنة ٤٠٠ كيلوجرام . وكانت هذه القذيفة تسقط على

الارض بسرعة كبيرة فتغوص الى منتصفها فى الأرض . ولكن الضرب بهذه القذيفة لم يكن ممكنـا فى كل الأوقات فلقد كانت الشـوشرة والضوضاء التى تصاحب العمل على المورتر من الكثرة بحيث لم يمكن ضرب أكثر من ٧ طلقات فى اليوم وفى النهاية يقومون بتفجيره .

وبهذا ظل الأتراك فى المؤخرة بالرغم من هذا التقدم بالنسبة الى المنجانيقات القـديمة ولكن كان لديهم قوات كبيرة بواقع ٥٠ مقاتلا فى مقـابل كل بيزنطى وبذلك تحددت نتيجة هـذا الهجوم فسقطت بيزنطة . ولم تكن أوروبا الغربية بالنسبة للأسلحة الجديدة بأوفر حظا من الأتراك ، اذ لم تتمكن الأسلحة النارية الغير متينة المتقلبة من منافسة الأسلحة القديمة .

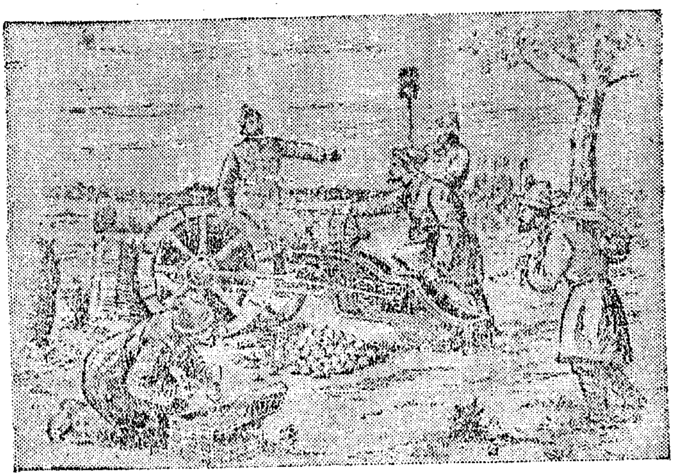
فالحق يقال أن هذه القوذاف المأمونة الغير خطرة ذات ثقـل الموازة كانت تقذف مقذوفات حجرية بكفاءة لا تقل عن المدافع .

ولقد ثارت مناقشات حادة بين القادة عن اى الأسلحة اكفأ : القديمة ام الجديدة ، واتفق الغالبية منهم على أن القديمة أكفأ .

ولكن فى سنة ١٤٩٤ أجريت تجربة انهت هذه المناقشات ، فلقد استعد الملك الفرنسى الشاب شارل الثامن للهجوم على ايطاليـا ليفرض سلطانه على نابولى . وكان فرض هذه السيطرة يتطلب قوة فاختار شارل لجيشه المكون من ثلاثين الف مقاتل عددا كبيرا من المدافع .

وكانت هذه المدافع من المدافع الخفيفة التى تقذف كرات من الحجارة فى حجم البرتقـالة ومدافع « الاستخدام الرئيسى » التى تقوم بقذف حجارة فى حجم راس الانسان . وقام شارل الثامن بالهجوم على ايطاليا بهذه المدفعية فقابلته جنود الاقطاعيين وكان الفرسان يلبسـون الدروع ويتمنطقون الأسلحة المصـنوعة من

الحديد . ولكن فى أول معركة قذفت المدافع هؤلاء الفرسان بحجارة بحجم البرتقالة نجحت فى اختراق دروعهم . وكان الفرسان يتقو هذه الحجارة بالاختفاء خلف الحوائط حتى يكونوا بعيدى المنـال ، ولكن قذائف مدافع « الاستخدام الرئيسى » كانت تدمر هذه البوابات والحوائط . (شكل ٧) وسرعان ما سقطت فلورنسـا ، وروما ونابولى فى أيدى المعتدين .



شكل (٧) مدفع ثقيل (مدفع الاستخدام الرئيسى)
يطـلق قـذائف فى حجم رأس الانســان

وسرعان ما انتشر النبأ فى أنحـاء أوربا الغربيـة عن الوسيلة الجديدة التى تجلب النصر بسهولة . وانتهى النقاش السابق عن خطورة الأسلحة النارية على القوات المتحاربة أكثر مما هى خطرة على العدو . وأصبح كل ملك يحاول الحصـول على أكبر المدافع وخاصة الأقوى منها والأكفاء ولكن مرت عشرات السنين بعد ذلك الى أن أصبحت المدفعية فرع هام وحاسم من الأسلحة المقاتلة .

٢ ـ مصدر الطاقة القوى

اسلحة المدفعية

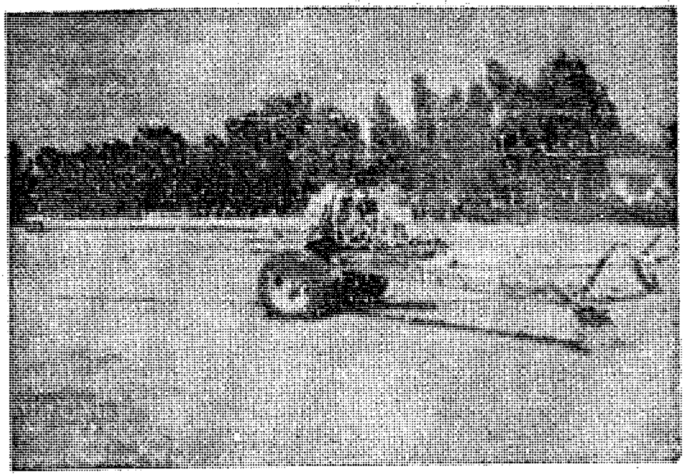
ماذا يسبب انطلاق دانة المدفعية ذات الوزن الثقيل من الماسورة بسرعة كبيرة فتصل الى مسافة كبيرة من المدفع قد تصل الى عشرات الكيلو مترات ؟

ما كنه هذه القوة التى تدفع الدانة من المدفع ؟

لقد كانت الدانات الحجرية فى الأزمنة الغابرة تقذف من المنجانيقات (القواذف) باستخدام خاصية المرونة (اللدونة) للحبال الملوية بشدة أو باستخدام الأوتار . أما لقذف السهام من الأقواس فلقد استغلت خاصية المرونة لمادة الخشب أو المعدن . وما من شك أن نظرية عمل المنجانيق (المقلاع) أو القوس واضحة ومعروفة . اذا ما هى نظرية بناء وعمل اسلحة المدفعية النارية ؟

المدفع الحديث عبارة عن آلة معقدة تتكون من أجزاء وتركيبات ميكانيكية كثيرة ومختلفة . وتبعا للغرض الذى من أجله صنع المدفع نجد عددا كبيرا من المدافع المختلفة الأشكال ولكن الأجزاء الرئيسية والمجموعات الميكانيكية فى المدافع المختلفة لا تختلف كثيرا فى الأساس من مدفع الى آخر .

وسنتعرف هنا على البناء العام لمدفع ما («] .



يتكون المدفع من ماسورة وترباس وعربة وهذه هى الاجزاء الرئيسية لكل مدفع

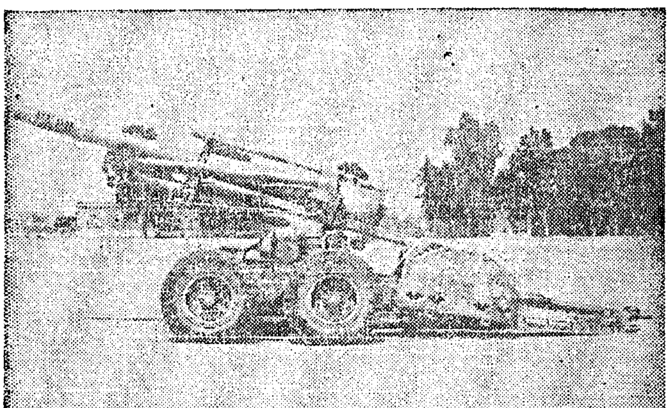
والغرض من الماسورة هو اعطاء حركة للمقـــذوف وتوجيهه فى الاتجاه المطلوب كما انها فى حالة المواسير المششخنة تقـــوم باعطاء المقذوف حركة دوران حول محوره مما يحقق ثبات المقذوف اثنـــاء سيره على خط المرور نتيجة لتحرك المقذوف ومقدمه دائما للأمام .

أما الترباس فيقوم بقفل قناة الماسورة ، ويمكن فتحه بسهولة لتعمير المدفع أو لقذف الخرطوشة بعد الضرب . وعند التعمير يمكن قفل الترباس بسهولة ويصبح عندئذ كما لو كان قطعة واحـــدة مع الماسورة وبعد قفل الترباس يتم ضرب الطلقة بواسطة مجموعة جهاز ضرب النار .

تستخدم العربة لحمل الماسورة ولاعطائها الوضــــع المناسب

للضرب كما انها فى حالة مدافع الميدان تستخدم كوسيلة تحريك المدافع من مكان لآخر .

تتكون العربة من أجزاء ومجموعات ميكانيكية كثيرة اهمها السرج ومجموعة العجل (شكل ٨) وعندما يراد الضرب من أى مدفع يتم فتح ساقى الغنداق وتثبيتهما فى وضع الفتح أما عندما يراد تحريك المدفع فيصير ضم هذين الساقين . ونلاحظ هنا أن فتح الغنداق فى حالة تجهيز المدفع للضرب يعطى المدفع قوة ثبات الى جانب توفير قوس اتجاه كبير . تنتهى ساقا الغنداق بسلاحين عن طريقهما يتم تثبيت المدفع فى التربة وذلك لمنعه من الحركة الطولية عند الضرب .

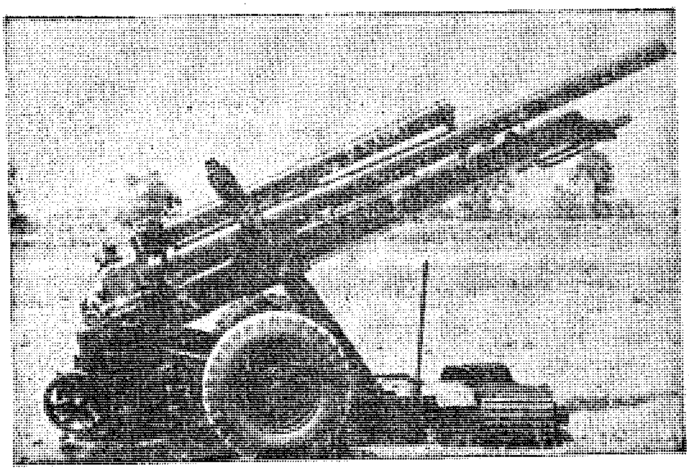


شكل (٨) قطعة مدفعية

وتتكون مجموعة العجل من العجل ومجموعة امتصاص الصدمات

التى تقوم بتوصيل العجل بقاعدة السرج أثناء الحركة (بعد ضم ساقى الفنداق) أما أثناء الضرب فيجب فصل مجموعة امتصاص الصدمات وهذا يتم أوتوماتيكيا عند فتح الفنداق .

يوجد على قاعدة السرج الأجزاء المتحركة (الدوارة) من المدفع والتى تتكون من السرج ، مجموعة منجلتى الاتجاه والارتفـــاع ، مجموعة أجهزة الموافنة ، أدوات التنشين ، المهد واجهزة الرجوع والاعادة .



شكل (٨) الاجزاء الرئيسية للمدفع ٧٦ موديل ١٩٤٢

السرج (شكل ٩) ــ هو الجزء الرئيسى المتحرك من المدفع وعليه عن طريق الأكتاف (الترنيون) يتم تركيب المهد بالماسورة واجهــزة

الرجوع والاعادة او بتعمير آخر الأجزاء المتارجحة (التى تتحرك فى المستوى الراسى) ويتم ادارة السرج على قاعدته بواسطة منجلة الاتجاه الأمر الذى يوفر قوس اتجاه كبير للمدفع . ويتم تحريك المهد بالماسورة فى المستوى الرأسى بواسطة منجلة الارتفاع الامر الذى يوفر اعطاء الماسورة زاوية الارتفاع اللازمة للحصول على المسافة المطلوبة وبهذه الطريقة يتم توجيه المدفع فى المستويين الأفقى والرأسى اى اعطاء المقذوف التوجيه المطلوب للوصول الى الهدف .

وذلك يتم بواسطة أدوات تنشين المدفع حيث يتم ربط الزوايا الافقية والراسية على ادوات التنشين التى تنقل بعد ذلك الى الماسورة بواسطة منجلتى الاتجاه وارتفاع أما مجموعة أجهزة الرجوع والاعادة فالغرض منها تقليل الطلقة على المدفع وتوفير الثبات وعدم تحرك المدفع للخلف أثناء الضرب . وتتكون هذه المجموعة من جهاز رجوع وجهاز للاعادة . يمتص جهاز الرجوع طاقة الرجوع الناتجة من الضرب اما جهاز الاعادة فيعيد الماسورة المرتدة الى وضعها الابتدائى ويحفظها فى هذا الوضع على جميع زوايا الارتفاع . ولتقليل تاثير طاقة الرجوع أيضا يوجد مخفف الصدمة .

وتقوم الدورة بحماية طاقم المدفع اى رجال المدفعية الذين يقومون بالعمل على المدفع من نيران الأسلحة الصغيرة ومن شظايا الدانات .

هذا هو البناء العام البسيط للمدفع الحديث المجرور ، ولكن التطور لم يقف عند ذلك بل سار حثيثا الى ان اصبحت المدافع أكثر تعقيدا ، وظهرت انواع جديدة كثيرة سيرد الحديث عنها .

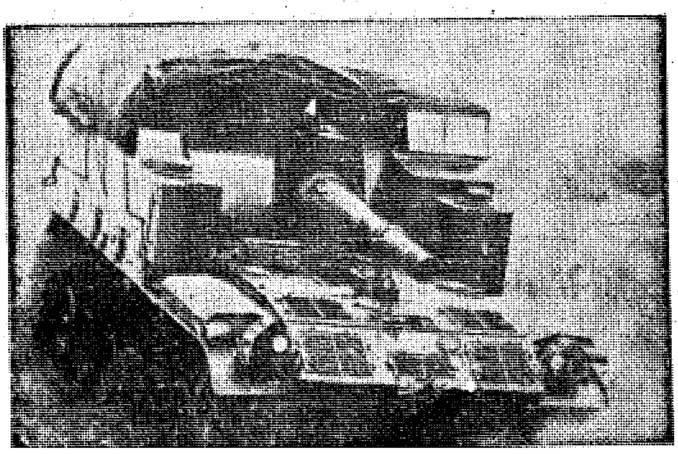
فى المدفع الحديث تستخدم الغازات المتولدة من البارود فى دفع المقذوفات ، ولطاقة هذه الغازات عدة خصائص مميزة .

عند العمل على المنجانيق (القواذف القديمة) كان الأفراد يقومون بلى الجبال بشدة حتى تصبح على شكل ضفيرة ثم عند

تركها تنفرد بسرعة ويدفع الحجارة بقوة للأمام . وكان هــذا العمل يتطلب وقتا وجهدا كبيرين . أما عند الرمى بالأقــواس فكان الأمر يتطلب شد الوتر بقوة للخلف ثم تركه يعود لوضعه الطبيعى دافعــا السهم للأمام .

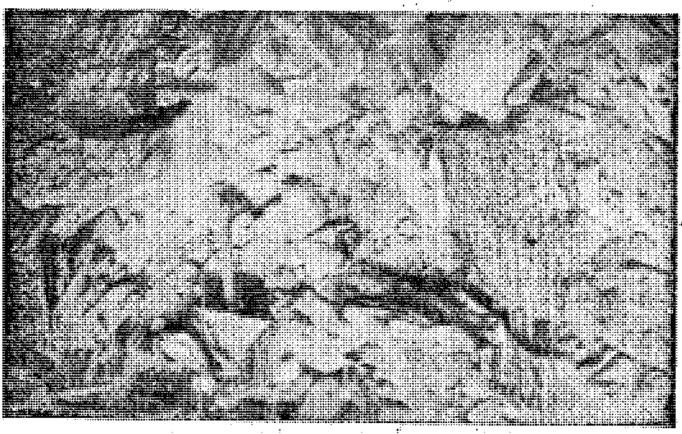
أما المدافع الحديثة فلا يتطلب الأمر منا بذل كل هــذا المجهود الضخم قبل الضرب أما العمل الذى يحدث داخل المدفع نفسه عند الضرب فتقوم بها نيابة عنا الطاقة الناتجة من البارود .

قبل الضرب يتم تعمير المقذوف داخل الماسورة وكذا العبوة ، وعند الضرب تشتعل العبوة وتتحول مادتها الى غــازات يكون لها مرونة عظيمة لحظة تكوينها . ثم تبدا هذه الغازات فى الضغط بقوة كبيرة جدا فى جميع الاتجاهات (شكل ١٠) ومن هــذه الاتجاهات اتجاه قاعدة المقذوف .





دبابة اسرائيلية دمرها صاروخ مضاد للدبابات



هل يمكن لأحد أن يعيش فى هذا المكان بعد أن حولته النيران الى حطام

٣ ــ هذا المقذوف السابح فى الهواء

المقذوف الكروى والدانة :

تطورت ذخيرة المدفعية من الحجارة الكروية الى مقذوف كروى متفجر (شكل ٩) يملأ من الداخل بالبارود الأسود ، ومزود بفتحة (شباك) يوضع بها فتيل (انبوب) مملوء بمادة مشــعلة بطيئــة الاحتراق تشتعل عند اطلاق المدفع ويستمر اشعالها لمدة بضــع ثوانى . وعندما ينتهى احتراق مادة الأنبوب ويصـــل اللهب الى البارود الموجود داخل الكرة المتفجرة يحــدث الانفجار . وبانفجار القذيفة تتفتت جدرانها الى شظايا تقتل كل من يتواجد فى منطقــة تأثيرها .

وكثيرا ما كان يحدث الا تتفجر هذه القذيفة بعد وصولها الى الهدف لأسباب كثيرة منها انطفاء اللهب أو وصول رطوبة الى بعض أجزاء الأنبوب فلا يكتمل اشتعاله . ونطلق نحن رجال المدفعية على هذه الظاهرة اصطلاح « التكذيب » .

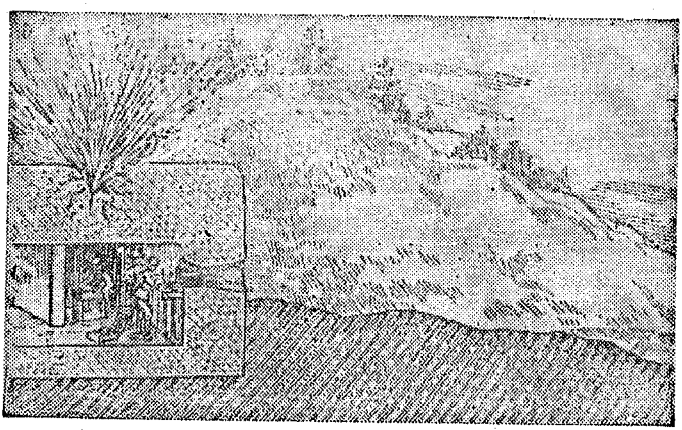
وكان قائد طاقم المدفع يتحكم فى طول الأنبــوب (أو الفتيل) بخبرته فيقطع منه جزءا ما حتى يتفق زمن التأخير (أو زمن احتراق مادة الأنبوب) مع الزمن الذى تستغرقه القذيفة لقطع المسافة من مكان المدفع الى الهدف (وهو ما نسميه زمن المرور للمقذوف) .

وبدأ رجال المدفعية يكتسبون الخبرة من خــلال المعارك التى خاضوها ، وبدأ البعض منهم يحاول تطوير هذه الذخيرة لتحســين أدائها الى أن ظهرت الدانة . وفى القديم كان رجل المدفعية يطلق على القذيفة المدفع (قنبلة المدفع) وتطورت التسمية الى أن أصبحت كلمة « دانة » هى التسمية المعترف بها . وفى القديم كانت دانة المدفعية زنة ٤ر٦ كجم أو أقل تسمى « دانة » ، أما تلك التى زاد وزنها عن

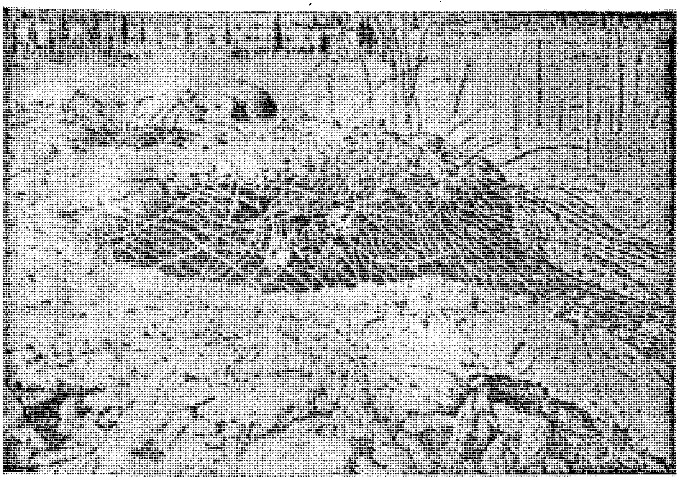
ذلك فسميت « قنبلة » . ولقد اثبتت دانة المدفعية ذات الشكل الانسيابى قدرة أعلى فى الوصول الى مسافة أبعد بغرض ثبات الوزن وقوة المدفع .

تأثير دانة المدفعية :

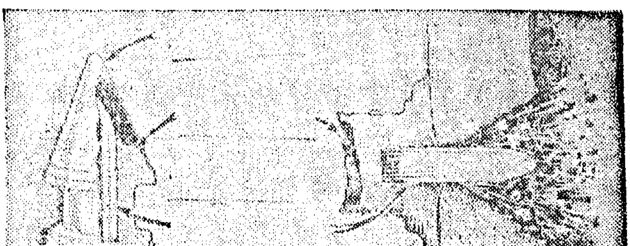
للمدفعية أنواع كثيرة من الدانات لتناسب طبيعة كل هدف فهناك الدانات الشديدة الانفجار التى تستخدم فى القضاء على القوة البشرية للعدو وتدمير المنشآت الدفاعية (الدشم ــ المواقع الدفاعية التحصينات المختلفة) (الأشكال من ٩ الى ١٤) . والدانات الخارقة للدروع التى تستخدم فى تدمير الدبابات والعربات المدرعة (شكل ١٥ ، ١٦ ، ١٧) .



شكل (١٣) التأثير الناتج من اصابة دانة شديدة الانفجار واحدة لدشمة خرسانية



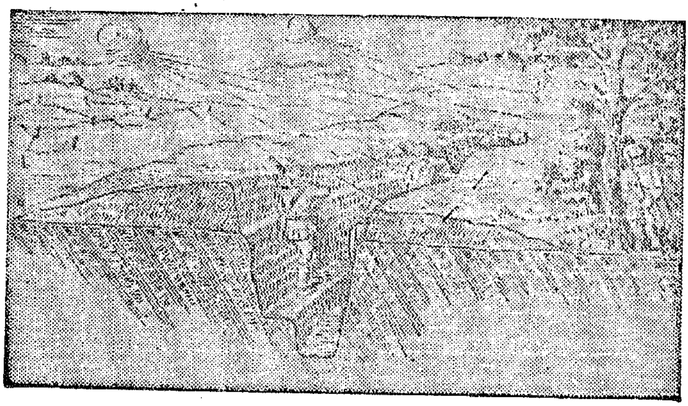
شكل (١٤) وهذا هو ما بقى من دشمة خرسانية
اصيبت بعـــدة اصـــابات مبـــاشرة بالمدفعيـــة



شكل (١٥) دانة خارقة للدروع سابو تخترق درع دبابة

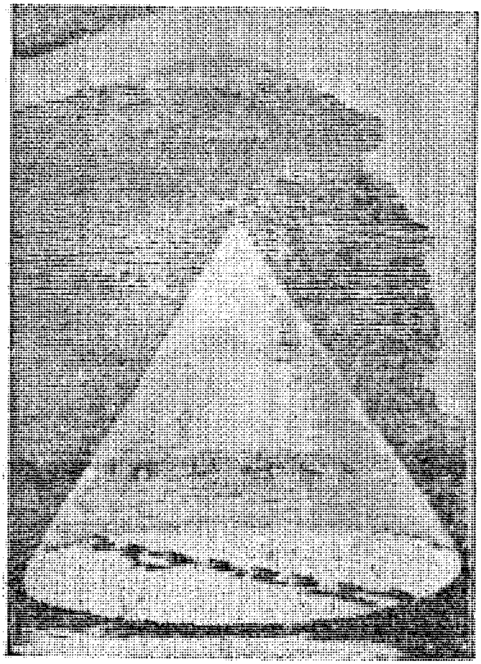


شكل (١٦) دانة خشو جوفاء تخترق درع الدبابة

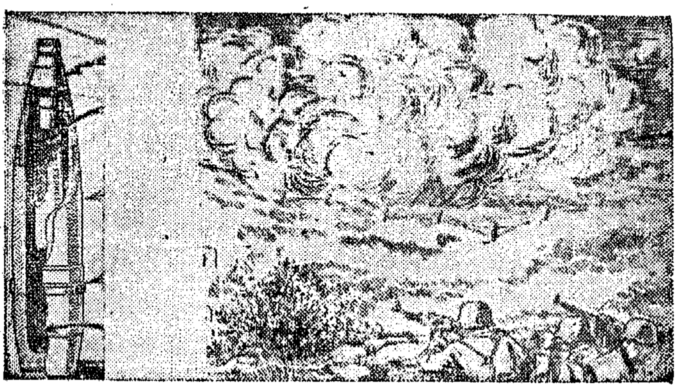


شكل (١٧) انفجار جوى لدانة شديدة الانفجار وتاثيره على جنود فى خنادق

كما توجد للمدفعية دانات مضيئة (شكل ١٨) تستخدم فى اضاءة أرض المعركة ليلا ، بالاضافة الى دانات الدخان (شكل ١٩) التي تقوم بتعمية العدو وانشاء ستائر الدخان لأغراض كثيرة •



شكل (١٨) دانة مدفعية مضيئة



شكل (١٩) دانة مدفعية دخان

٤ ـ المدفع ـ الهاوتزر ـ الهاون ـ الصاروخ

ما هو المدفع ؟

كانت زيادة مرمى المدافع ـ ولا زالت ـ هدفا رئيسيا لمخترعى المدافع ولرجال المدفعية . ولزيادة المرمى يتطلب الأمر السرعة التى تخرج بها الدانة من فوهة الماسورة .

ولك أن تتسائل وكيف يتم ذلك ؟ وما هى الطرق التى يمكنها تحقيق هذا الهدف ؟

ان الاجابة على هذا السؤال أصبحت سهلة بفضل العلوم الحديثة . فزيادة كمية المادة القاذفة (البارود) يزيد من ضغط الغازات على قاعدة المقذوف داخل الماسورة فيخرج بسرعة كبيرة ، وزيادة طول الماسورة يزيد من زمن تأثير هذه الغازات على الدانة وبالتالى يزيد من سرعتها . وكلما زادت السرعة التى تخرج بها الدانة (المقذوف) من فوهة الماسورة كلما زادت المسافة التى يقطعها وقل انحناء خط المرور نتيجة قدرة الدانة السريعة على التغلب على مقاومة الهواء والجاذبية الأرضية .

والمدفع الذى تستخدم معه عبوة كبيرة وله ماسورة طويلة نسبيا يطلق عليه اسم : مدفع وعادة ما تكون السرعة الابتدائية لقذيفة المدفع أكبر من ٨٠٠ متر/ث .

ونادرا ما يقل طول ماسورة أى مدفع حديث عن ٤٠ ضعف عياره . أى طول الماسورة يساوى ٤٠ مضروبة فى الماسورة .

ونتيجة كبر سرعة المقذوف عند الرمى بالمدفع فعند الضرب على هدف على مسافة قصيرة لا يتطلب الأمر رفع الماسورة لزوايا كبيرة

ولذلك عادة ما لا ترتفع ماسورة المدفع عن ٤٥ درجة .

وتحت هذه الظروف عادة ما يتم الرمى والماسورة تأخذ زوايا ارتفاع حتى ٢٠ درجة . وعلى هذه الزوايا ترتفع الدانة اثناء سيرها على خط المرور فوق سطح الأرض عدة مئات من الأمتار ثم تعود الى الانخفاض الى أن تصطدم بالهدف .

ولكن ليس ما قلناه قانونا ليست له شواذ فالمدفع الالمانى الذي كان يضرب باريس عام ١٩١٨ كانت اقصى زاوية تأخذها الماسورة ٥٢ درجة وكان يطلق داناته الى مسافة ١٢٠ كم وكانت الدانة ترتفع الى مسافة ٤٠ كم فوق سطح الأرض .

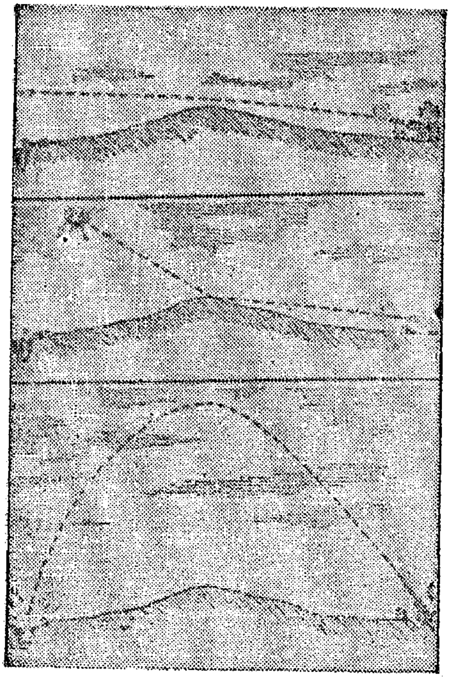
وعليه يمكن القول بأن الخواص المميزة للمدفع تتلخص فيما يلى :

— سرعة ابتدائية عالية للدانة .

— طول المرمى .

— خط مرور لطيف الانحناء .

ولكن مثل هذا المدفع قد لا يكون مناسبا للضرب على بعض الأهداف — فدانة المدفع التى تطير بسرعة كبيرة وتسير على خط مرور يكاد يكون مستقيما قد لا تتمكن من اصابة الهدف انظر الشكل رقم (٢٠) هل يمكن للمدفع ان يصيب الهدف ؟



شكل (٢٠) الضرب على اهداف تقع خلف ثنية ارضية

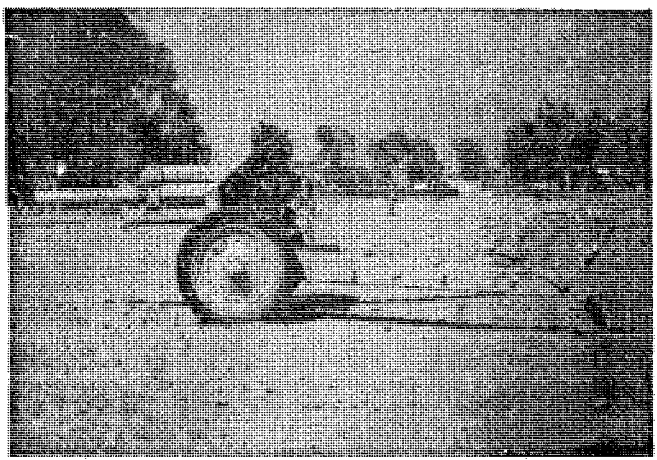
من الشكل يمكنك أن ترى بوضوح ان الأمر يحتاج الى أن تسير الدانة على خط مرور منحن حتى يتفادى الثنية الارضية التى يقع خلفها الهدف . فهل يمكن للمدفع ان يقوم بذلك ؟ نعم يمكن ذلك اذا رفعنا ماسورة المدافع على زاوية ارتفاع أكبر من ٤٥ درجة . حينئذ سترتفع الدانة لأعلى ثم تسقط على الهدف كما هو واضح بالشكل . وهنا نتساءل : وهل هذا الضرب مفيد ؟ واذا كانت الثنية الأرضية عبارة عن تبة مرتفعة أليس معنى ذلك اننا يجب ان نرفع الماسورة على ارتفاع كبير جدا وبالتالى سيكون الطريق الذى تقطعه الدانة طويلا ؟ وقبل ان نسترسل فى التساؤلات

هناك حقيقة مؤداها أن معظم المدفعية التى من نوع المدفع لا يمكن أن تأخذ الماسورة زوايا ارتفاع أكبر من ٤٥ درجة .

اذا يجب البحث عن نوع آخر من قطع المدفعية .

للرمى على هدف خلف ساتر يلزم الهاوتزر :

ما هى الوسيلة الأبسط والأكثر اقتصادا للحصول على خط مرور اكثر انحناءا ؟ لنجرب تقليل العبوة للمدفع . ماذا يحدث ؟ ستقل سرعة الدانة اى أنها ستطير ببطء وسقط على مسافة اقل



شكل (٢١) فى حالة السرعة الابتدائية الاقل يزداد انحناء خط المرور كلما زادت زاوية الارتفاع

واذا استخدمنا عبوة أقل وزدنا زاوية ارتفاع الماسورة ـ ودون تخطى زاوية الـ ٤٥ درجة كلما زاد انحناء خط المرور . وعليه يمكن التحكم فى شكل خط المرور والحصول على خط مرور له قدرة تفادى

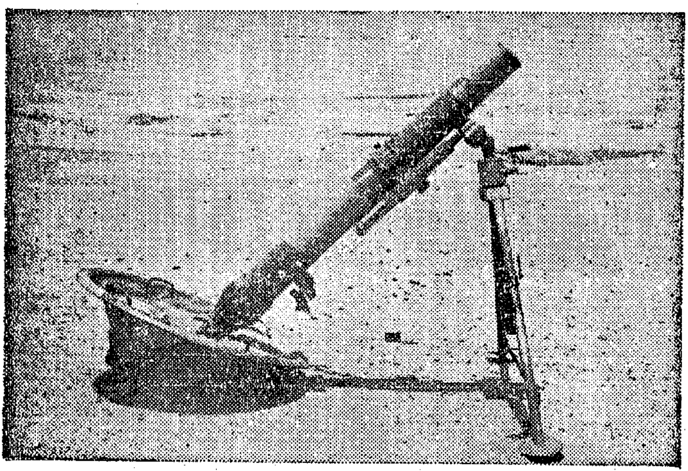
أى هيئة بين المدفع والهدف . وهذه هى أهم خصائص الهاوتزر الذى يتميز بما يلى :

ــ خط مرور أكثر انحناءا .
ــ سرعة ابتدائية أقل للدانة .
ــ دانة أثقل من دانة مدفع له نفس العيار .

الهاونات : شكل (٢١) :

هل يمكن خلق سلاح له نفس خاصية خط المرور العالى (المنحنى) ولكن أخف وزنا ، وأسهل فى الصناعة ؟

لقد حقق الهاون ذلك . فماسورة الهاون ملساء ، جدرانها غير سميكة ولذلك فهى أخف وزنا ، كما أن الهاون فى مجموعه أقل وزنا بكثير من أى قطعة مدفعية أخرى من نفس العيار . وتعتبر الهاونات مدفعية الجيوش الفقيرة نظرا لرخص تكاليف انتاجها .



شكل (٢٢) هاون متوسط عيار ١٢٠ مم هل من الصعب اصابة الهدف

دقة الضرب

« النقطة الاشارية رقم ٣ يمين ١٠ فوق ١٠٠ رشاش فى حفرة يفتح نيرانه على مشاتنا ـ اسكته » . كان هذا هو الأمر الذى اصدره قائد احدى الفصائل المشاة لمدفع يرافق فصيلته اثناء الهجوم فى السابع من اكتوبر عام ١٩٧٣ . ومرت بضع ثوان وتعرف قائد طاقم المدفع على الهدف وقدر مسافة الهدف بحوالى ٢ كم . فاصدر الاوامر اللازمة لسرعة فتح النيران . وأنطلقت القذيفة الأولى . ورأى الطلقة الاولى تنفجر أمام الهدف فاصدر تصحيحا لها وانفجرت الثانية خلف الهدف ثم صحح الضرب فأصابت الرشاش الذى تطايرت أجزاؤه وقتل طاقم الرشاش . وتمكنت مشاتنا من متابعة التقدم . لقد قام طاقم المدفع بتنفيذ المهمة بسرعة وبدقة . لقد استهلك الطاقم ثلاث طلقات لاصابة الرشاش وتدميره .

لماذا أعتبرنا أن المهمة نفذت بدقة ؟ الم يكن فى استطاعة الطاقم أن يصيب الهدف من اول طلقة ؟ سنجيب على هذا التساؤل بعد قليل ، ودعنا نسأل أنفسنا ما معنى كلمة « دقيق » ؟

كثيرا ما تقول « ان ساعتى مضبوطة » فماذا تقصد ؟ هل تعنى انها على درجة مطلقة من الدقة وأنها لا تخطىء ولو بجزء من الثانية ؟ اننا نعلم جيدا أن ذلك مستحيل ، فلكل ساعة خطأ مسموح به . وتتميز ساعة عن ساعة أخرى بأن الخطأ المسموح به أصغر . وعليه فكلمة « ساعتى مضبوطة » أو « دقيقة » تعنى أن الخطأ فى توقيتها صغير يمكن اهماله ولنفرض انه ثانية واحدة .

ويمكن ضرب أمثلة عديدة تؤكد أن الدقة المطلقة امر مستحيل . ولا يوجد شىء مطلق فى دقته وفى كل شىء سوى الله وقدرته جل شأنه .

وما من شك أن اى مدفع مهما كانت دقة صناعته به سماح ما او خطأ مسموح به : فى قطر الماسورة ، وفى طولها ، وفى استقامتها ... الخ .

كما أن ايجاد مسافة الهدف يتضمن خطأ ما ، اذا لا يمكن ايجاد أى مسافة بدرجة دقة مطلقة . وعليه اذا كنا قد أدركنا أن مفهوم « الدقة » هو مفهوم نسبى وليس مطلقا ، فما هى الدقة المطلوبة من رجال المدفعية لتدمير رشاش للعدو وبالحصول على اصابة مباشرة فيه ؟

من الممكن حساب ذلك ـ فاذا فرضنا أن مقاييس المساحة التى يشغلها الرشاش ١ × ١ متر . فمن الممكن تدمير الرشاش اذا سقطت دانة المدفع فى أى مكان من هذه المسافة . وانفجار دانة المدفع تحدث حفرة نصف قطرها حوالى ٧٥ سم ، وعليه فاذا سقطت الدانة على مسافة لا تزيد عن ٧٥ سم من المساحة التى يشغلها الرشاش فسيحدث التأثير المطلوب . ومن هذا يمكن القول بأن أى خطأ مقداره بضع عشرات من السنتيمترات يعتبر غير ذى قيمة ، ولكن لا يجب أن نخطىء بمقدار واحد متر .

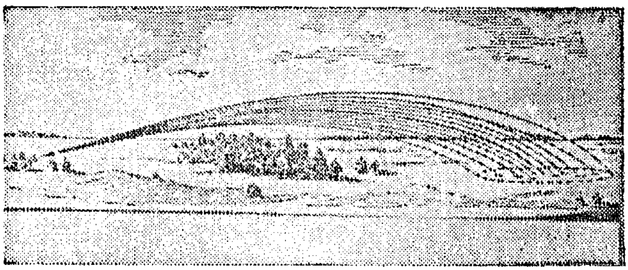
وبتعبير آخر : للحصول على التأثير المطلوب فى الرشاش يجب أن لا تبعد نقطة انفجار الدانة عن حدود مساحة الهدف أكثر من ١٥ سم .

ولكى لانطيل الحديث فى مسائل علمية بحتة هى من اختصاص ضابط المدفعية سنختصر الحديث ونصل الى القول بأنه نتيجة عوامل كثيرة يتعرض لها المقذوف أثناء سيره فى الجو ، وأخطاء الصناعة ، والأخطاء البشرية .... الخ لا يمكن أن تحقق ظروف واحدة ثابتة للضرب ، كما أنه لا يوجد ولا يمكن أن يتواجد فى المستقبل مدفع يمكنه أن يقذف دانته فى نفس النقطة .

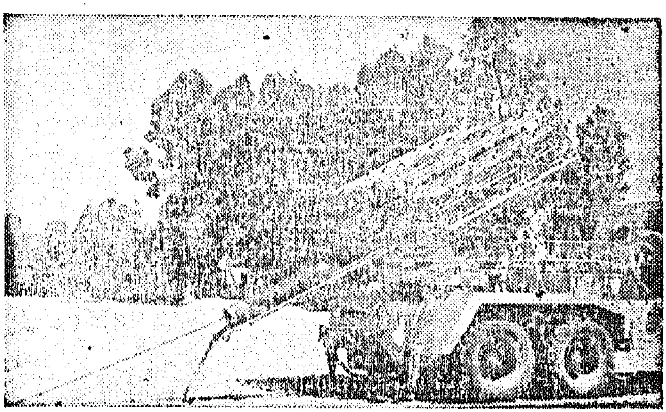
ومهما قمنا بمراعاة الدقة فى التحضير للضرب وفى تجهيز المدفع للضرب وتنشينه والتعويض عن الاختلافات التى تحدثها العوامل المؤثرة على الضرب لا يمكن أن تسقط عدة دانات تطلق من مدفع واحد تحت ظروف سائدة واحدة فى نقطة واحدة . فعند اطلاق

عدد من الطلقات ستسقط هذه الطلقات فى منطقة محدودة تخضع لقانون رياضى معين .

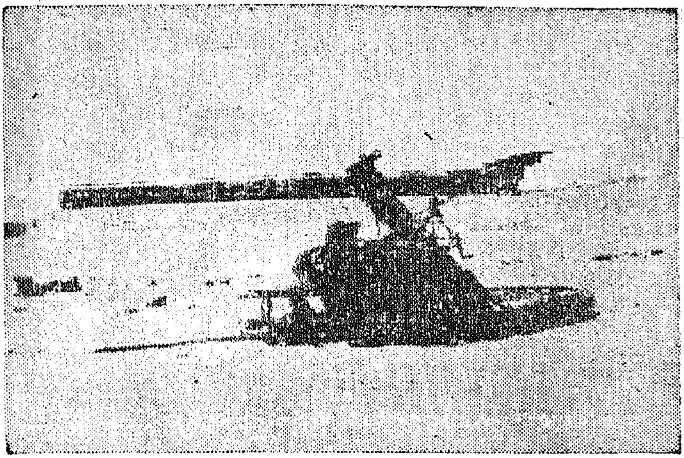
هذه المنطقة نسميها (علميا) منطقة الانتشار (شكل ٢٢) أو بيضاوى الانتشار .



شكل (٢٣) انتشار دانات المدفعية



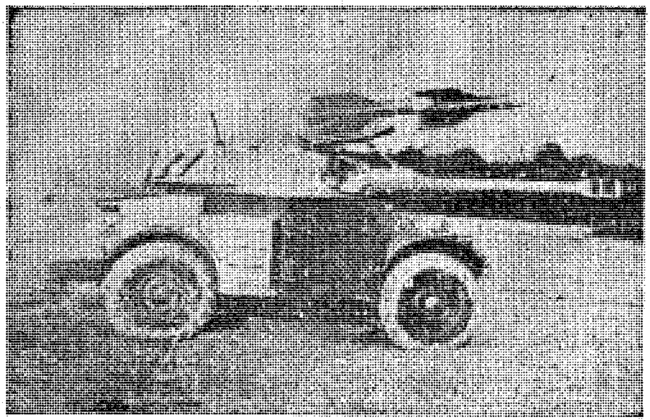
قطعة مدفعية صاروخية



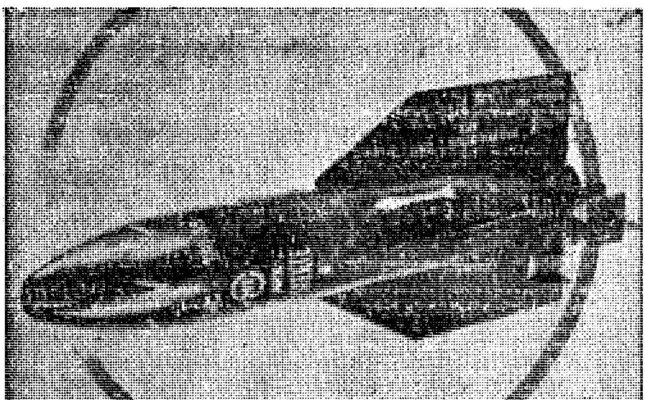
شكل (٢٤) كلما زادت مسافة الرمي كلما زادت مقاييس منطقة الانتشار



صواريخ موجهة مضادة للدبابات مركبة على عربة جيب



صاروخ موجه مضاد للدبابات على عربة مدرعة



صاروخ فردي يحمله فرد موجه للدبابات

الباب الثاني

طريق طويل شاق

مابعد النكسة

نكسة ١٩٦٧ سامحها الله

احدثت نكسة عام ١٩٦٧ ، سامحها الله ، آثارا نفسية رهيبة فى نفوسنا نحن رجال القوات المسلحة . فلقد هزمت هذه القوات لانها وضعت فى موقف كان لابد فيه أن تفقد نفسها . ولقد تضافرت قوى كثيرة على تدمير نفسية قواتنا المسلحة حتى كدت أن اصدق اننا فقدنا انفسنا ولن نجدها لزمن طويل . واخذ العدو الاسرائيلى بزمام المبادرة وبدا يشن علينا حربا نفسية ضارية جند لها كل امكانياته العلمية والمادية . واخذت كتب الاساطير والخرافات تملأ الأسواق وتصم الآذان ببطولات كاذبة لجيش الدفاع الاسرائيلى الذى لا يقهر .

وبدا رجل الشارع الاسرائيلى يؤمن بأن الغلبة دائماً فى اى حرب بين اسرائيل وبين العرب لابد وان تكون لصالح جيش الدفاع الاسرائيلى وساعد على شدة تاثير هذه الحرب النفسية ما أحس به الشعب المصرى من آلام مبرحة فى قلبه اذ كان قد آمن بأن قواته المسلحة قادرة على القاء اسرائيل فى البحر ، وذلك نتيجة خطأ أجهزة الاعلام المصرية التى اخذت تنفخ فى أبواقها منادية بشعارات طنانة . « أقوى طيران فى الشرق الاوسط » « وأقوى جيش فى الشرق الاوسط » .. الخ . فلما جاءت الصدمة وكانت شديدة بدأ رد الفعل ينعكس على تصرفات بعض المواطنين قبل صف وجنود وضباط القوات المسلحة المصرية . ولم يجرؤ أحد من القوات المسلحة أن يقف ليبرىء ساحة الجيش من وزر النكسة . لأن الهزيمة كانت ضخمة وكانت الخسائر فادحة . وعليه لا مناص من ابتلاع السم والسكوت عليه حتى ولو أدى الى موت صاحبه .

ولكن اصالة الانسان المصرى وقوة تحمله جعلته يبتلع السم ولا يموت ، بل يقاوم فى صبر جبار عنيد لينتصر على اسباب الضعف والوهن . وبدأنا نعمل ! وكان العمل شاقا مضنيا ! اعتقد ان من واجبى تجاه كل مصرى أن أعطيه صورة عن هذا الجهد دون مساس بما تقتضيه على واجباتى كضابط مصرى والامانة فى سرية المعلومات التى هى ملك الدولة ، والتى لم يحن الوقت بعد لاذاعتها .

عناصر الموقف الاسرائيلى بعد النكسة

كانت ولا زالت السمة البارزة الأولى للمخطط الصهيونى الدولى هى المرحلية أى تحقيق الهدف على مراحل متتالية مترابطة . وكل مرحلة من المراحل لها هدفها الأقصى وهدفها الأدنى . فالهدف الأقصى يحدد اقصى مكاسب ترمى الى تحقيقها اسرائيل فى المرحلة . أما الهدف الأدنى فهو الحد الأدنى للمكاسب التى تنشدها اسرائيل فى خطتها المرحلية ، والتى يجب أن تتمسك بها ما لم تتعرض لضغوط عسكرية أو سياسية تؤثر على الخطة وهو الحد الذى تبذل فى تحقيقه اسرائيل كل طاقتها سياسية كانت أو عسكرية .

وعلى ذلك تمسكت أسرائيل بالاراضى العربية التى استولت عليها خلال حرب يونيو ١٩٦٧ ، وحاولت ان تحقق احد هدفيها لهذه المرحلة :

(أ) **الحد الأقصى** : ويتلخص فى ضم كل أو معظم هذه الأراضى على أساس أنها ضمن حدود اسرائيل العظمى . ويتزعم هذا الاتجاه حزب جحل وبعض المجموعات السياسية المتطرفة . فلقد أدلى مناحم بيجين زعيم حزب جحل بتصريح فى ٢٨ مايو ١٩٦٨ يقول :

« ان الأراضي العربية المحتلة هي أراضي اسرائيلية حررتها اسرائيل من الحكم الأجنبي غير الشرعي .. انها ارض الأجداد التي طرد منها الشعب اليهودي قبل ١٨٩٨ سنة » .

(ب) **الحد الأدنى** : أدت تطورات الموقف العربي الدولي الى دفع المعتدلين في اسرائيل للبحث عن حلول وسط وصياغة مقترحات تحقق لاسرائيل الحد الأدنى الذي لا تقبل ما دونه . واعتبر الكثيرون ان ذلك تنازلات من اسرائيل على العرب أن ينظروا اليها بعين الاعتبار . وكان العامل الرئيسي الذي تحكم في مفهوم اسرائيل عن الحد الادنى هو الحدود الآمنة أو نظرية الامن الاسرائيلية .

وظهرت صياغات جديدة ومصطلحات لولبية براقة . فلقد نادى موشى ديان بضرورة النظر الى مستقبل المناطق المحتلة ليس فقط من وجهة نظر **الحق التاريخي** بل أيضا من خلال الاهتمام **بالمستقبل التاريخي** واستبدالها بعبارة **الارتباط التاريخي** . والفرق بين الكلمتين أو التعبيرين هو في الواقع نفس الفرق بين الحد الأقصى والحد الأدنى . وفسر المعلقون الارتباط التاريخي بأنه ليس من الضروري أ نتحتفظ اسرائيل بكل الأراضي المحتلة بحكم الحق التاريخي وانما توجد أماكن أو مناطق يجب الاحتفاظ بها من أجل مستقبلهما .

ويمكن ملاحظة الأسس الاستراتيجية التالية في المخطط الاسرائيلي لتحقيق هذا الهدف .

(أ) محاولة ارغام العر بعلى قبول الوجود الاسرائيلي والاعتراف به مستغلة في ذلك نتائج حرب يونيو ٦٧ والنجاح العسكري والسياسي الذي تحقق لها .

(ب) تأمين الوجود الاسرائيلي داخل حدود يتوفر فيها الأمن بمفهومه السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي .

(جـ) العمل تدريجيا على تحقيق الحلم وذلك بالتوسع واستمرار النمو .

(د) محاولة كسب السكان العرب الموجودين داخل اسرائيل وكسر حدة عدائهم لها ، وذلك بخلق وجود عربى مشترك رغم ما فى ذلك من تناقض مع الايديولوجية العنصرية الصهيونية التى تتمسك باستمرار النقاء العسكرى اليهودى .

(هـ) ازالة مظاهر الصلات الشرعية القائمة بين المناطق المحتلة والدول العربية التابعة لها .

ولتنفيذ هذه الاستراتيجية العليا وضعت اسرائيل لنفسها استراتيجية عسكرية محددة تقوم على عناصر ثلاثة :

أولا : الحرب الوقائية الخاطفة التى تعتمد على رفض انتظار وقوع الضربة الاولى من جانب الدول العربية ، وان ضربة الاحباط هى التى تحقق لاسرائيل امنها وسلامتها . وعليها ن توجه هذه الضربة فى الوقت المناسب قبل أن يكتمل استعداد أى دولة عربية لاعمال تعرضية شاملة .

ثانيا : اليد الطويلة التى تمثل أداة الردع الرئيسية ويتحقق ذلك بالحصول على التفوق الجوى بل والسيادة الجوية حتى تكون اجواء الدول العربية مفتوحة أمام القوات الجوية الاسرائيلية كيفما تشاء . وبذلك تهدد أعماق الدول العربيـة ، وتمثل خطرا داهمـا على اقتصادياتها .

ثالثا : الحرب الخاطفة وذلك بتدمير أى هجوم عربى فى مراحله الاولى وفى وقت قصير وذلك بتوجيه ضربات جوية وبرية مدرعة قوية بقوات على درجة عالية من خفة الحركة والكفاءة القتالية ونقل الأعمال القتالية الى أرض العدو بأسرع وقت ممكن .

الموقف العربى بعد النكسة

دروس مستفادة :

ما من شك ان هزيمة العرب فى يونيو ١٩٦٧ قد تركت آثارا سياسية وعسكرية ومعنوية بعيدة المدى . فلقد فقد العرب عنصر المبادرة الذى انتقل الى جانب اسرائيل بكل ابعاده ، وجعلها تتصرف فى المنطقة كيف تشاء ما من رادع بها ، تماما كالبلطجى الذى يسيطر على حى من الاحياء بقوة وجبروت . وكان الموقف العسكرى المصرى والسورى فى حاله سيئة للغاية جعلته يقف الى حد كبير موقف المتفرج الذى لا يجد ما يمكنه ان يتدخل به أو حتى يحتج به .

ولكن على الرغم من كل ذلك فلقد خرجنا بدروس مستفادة وعيناها وعملنا على الاستفادة منها الخصها فيما يلى :

(أ) جهلنا بعدونا واستهانتنا به أديا الى أن نخسر الحرب وبسهولة .

(ب) التقصير الشديد فى وضع الخطط المناسبة لمقابلة اى موقف سياسى عسكرى فى المنطقة ، وعدم وجود اى تعاون أو تنسيق بين الجبهات العربية المختلفة الأمر الذى أعطى لاسرائيل حرية الحركة والقضاء على القوات العسكرية لكل دولة على حدة .

(جـ) ترك المجال السياسى العالمى للنشاط الاسرائيلى ، فنجحت اسرائيل فى استقطاب غالبية الرأى العالمى الى جانبها .

(د) الجهل بامكانيات الامة العربية اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، وبذلك حرمنا من اسلحة مؤثرة فى المجالين السياسى والعسكرى

(هـ) ان الخطر الصهيونى ليس موجها لدولة عربية بالذات وانما هو خطر يهدد كيان الأمة العربية كلها .

استراتيجية مصرية جديدة :

درست مصر دروس النكسة ووعتها وبدأت تضع لنفسها

استراتيجية محددة تبلورت تماما بعد ثورة التصحيح وظهرت معالمها جلية فى خطابات الرئيس السادات وكل اعماله ويمكن تلخيص هذه الاستراتيجية الجديدة فيما يلى :

(أ) هناك ارض عربية يحتلها العدو ولابد من تحريرها ، وهو يرفض ان يتخلى عنها .

(ب) ان العرب يرفضون الاستسلام ويصرون على استرداد الحق المغتصب ، ويؤمنون بقدرتهم وامكانياتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

(جـ) استقطاب التناقض الموجود فى العالم العربى ، والعمل على خلق جبهة عربية موحدة تحاصر العدو الاسرائيلى وترهقه .

(د) هناك كثير من نقط الضعف الاساسية فى موقف اسرائيل يمكن استغلالها .

(هـ) يمكن للعرب ان يجعلوا بقاء اسرائيل فى الاراضى المحتلة عبئا ثقيلا غالى التكاليف تقصر عنه امكانيات اسرائيل الاقتصادية .

(و) استقطاب المجال السياسى العالمى لصالح العرب وعدم ترك اى ميدان سياسى لاسرائيل تعمل فيه بحرية .

(ز) البناء العسكرى الى جانب البناء الاقتصادى ، فيد تبنى ويد تحمل السلاح .

(ح) وضع خطة من اربع مراحل : البناء ، والصمود ، والردع ، ثم التحرير .

البنـــاء

مهمة شاقة مضنية ! وحدات المدفعية معظمها عاد من سيناء دون سلاحها ! الروح المعنوية للصف والجنود والضباط فى

الحضيض ! المعلومات تفيد بان الأسلحة فى الطريق لاعادة البناء !!
ما هو العمل ؟ وما هى الخطة ؟

ان الامر يحتاج الى جهد جبار يقوم به رجال آمنوا بالله وبالوطن ،
وبدأت القيادة العامة للقوات المسلحة بأجهزتها المختلفة تعمل وتضع الخطط . ومن بين هذه الأجهزة ادارة سلاح المدفعية وكان على راسها رجل عظيم هو اللواء عبد التواب هديب .

قامت القوات المسلحة باختيار ضباط اكفاء أقوياء وعينتهم فى المناصب القيادية للوحدات والتشكيلات . وبـدأ هؤلاء فى أولى خطوات البناء الا وهى التدريب .

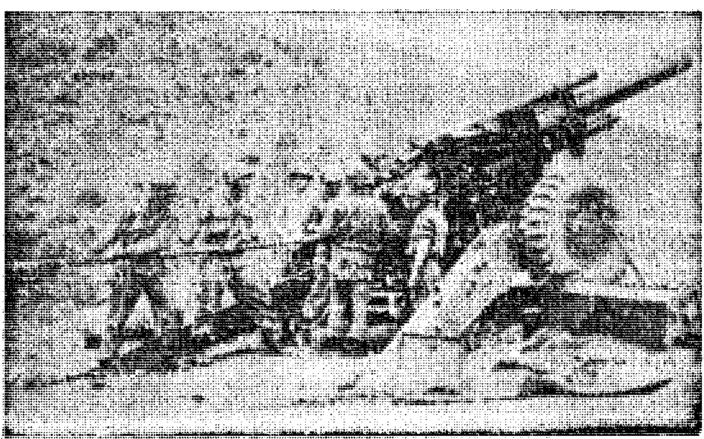
وبدأ التدريب شاقا عنيفا ، ليلا ونهارا تواكبه اعمال نفسية ومعنوية لتمسح من نفوس كل انسان بالقوات المسلحة ما علق بها من آثار النكسة حتى ينتصر على نكسته هو داخل نفسه .

وبدأ رجال المدفعية يعملون فى صبر وعزم وقوة . وكان على المدفعية أن تسبق الاسلحة الاخرى فى توقيتات الاستعداد اذ انها كانت تمثل الذراع الطويلة التى يمكن استخدامها فى مرحلة الصمود التى يجب ان تبدأ بأسرع ما يمكن .

كان المتبع قبل عام ١٩٦٧ فى خروج الوحدات الى مشروعات تدريبية مع الرمى بالذخيرة الحية أن يعطى انذار للوحدة ، وكان قائد الوحدة يتمكن عادة من معرفة موضوع المشروع والكثير من تفاصيله وكذا منطقة اجراء المشروع ، ولذلك كان يذهب ومعه مجموعة استطلاع من ضباطه وصف وجنوده يدرسون أرض المشروع وتفاصيل الهيئات والطرق بها . ولذلك كانت نتائج هذه المشروعات تعطى صورة غير دقيقة عن المستوى الحقيقى للوحدة . كما كان تقييم المشروع يتم بأسلوب غير سليم .

بدأنا فى تغيير الأسلوب فكنا نفاجىء الوحدة فى وقت راحتها لنرفع درجة استعدادها ونحركها الى أرض مجهولة بالنسبة لهـا

لتبدأ مشروعا تدريبيا بالرماية تبرز فيه جميع الدروس المحتملة فى الحرب : من تحرك مع توقع مقابلة العدو الى هجوم على مواقع مجهزة الى اختراق لمواقع مجهزة على عجل .. الخ . وكان المشروع يستمر عدة ايام تتم فيها كل الأعمال المختلفة من امداد بالاحتياجات الى العيش لفترة تحت ظروف نقص الطعام والمياه . وظهرت ثغرات كثيرة ونقط ضعف عديدة أخذنا فى علاجها بعلم ودراية . وبدأ الصدأ الذى يعلو النفوس والعقول يزول بمعدلات مذهلة . فلقد كان الانسان المصرى يرغب فى استرداد كرامته التى أهدرتها ظروف خارجة عن ارادته . وبدأ العقل المصرى يبتكر ، واخذ الضباط والصف والجنود يتقدمون بآراء ومبتكرات تسهل أعمالهم وتوفر الوقت الثمين . وتوفيرا للذخيرة أنشأنا ميادين مصغرة فيها كل ما فى ميدان المعركة ويتم التدريب فيها الى أن نتأكد من أن الضابط والجندى قد أتقنا العمل فينتقل بهما الى مرحلة اخرى وهى التدريب فى ميادين حقيقية وبالذخيرة الحية . وكان هدفنا أن نضع طابورا متسلسلا لبعض الأعمال أى ميكنتها حتى توفر الوقت . وبدأت أرقام ومعدلات زمنية لتنفيذ المهام تنكسر تحت أقدام القادة والضباط المصريين .



وبدأت مرحلة جديدة من التدريب نسميها نحن العسكريين التدريب المشترك وتتلخص فى خلق التزاوج بين الأسلحة المقاتلة المختلفة ، فتجرى مشروعات تشترك فيها عناصر مختلفة من الأسلحة مشاة ومدرعات ومدفعية ، يتم فيها تنفيذ صورة كاملة لمعركة الأسلحة المشتركة . وفى مثل هذه المشروعات راعينا أن تعمل كل مجموعة مع بعضها البعض مشكلة بنفس الأسلوب المتوقع خلال العمليات .

ولما كان العدو الاسرائيلى يعتمد فى نظريته العسكرية على القوات الجوية والمدرعات لذا كان لزاما على رجال المدفعية أن يتعلموا كيف يدمرون الدبابات الاسرائيلية وكيف يعملون تحت ظروف القصف الجوى المركز ومن هنا بدأنا نهتم بأسلحة المدفعية المضادة للدبابات من مدافع عادية الى صواريخ موجهة مضادة للدبابات . ووصلنا بمستوى الأفراد الى أن يصيبوا الدبابة المتحركة بسرعة تصل الى ٣٠ كم ساعة من أول طلقة وعلى مسافات كبيرة . وكان اسلوبنا فى رفع كفاءة المسددين وعمال التوجيه هو أسلوب الحوافز والتشجيع فكانت الترقية من نصيب الاكفاء ، والأجازات لا ينالها الا من ينجح فى اختبارات خاصة دقيقة . وعملنا لكل رام كراسة صغيرة تسمى كراسة الرامى تسجل فيها نتائجه اليومية بحيث يمكن للقائد فى كل لحظة معرفة مستوى الفرد فى الرماية .

الصمود

بدأت هذه المرحلة بعد النكسة مباشرة واستمرت حتى اغسطس ١٩٦٨ . وتتلخص الاستراتيجية الحربية المصرية فيها فيما يلى :

١ ـ الالتزام بالهدوء وعدم جر العدو الى معارك لاتاحة الفرصة للبناء .

٢ ـ تجهيز الدفاع على جبهة القناة والوصول به الى الدرجة التى تمكنه من منع العدو من القيام بعمليات هجومية ناجحة ، قد يقوم بها لفرض ارادته على مصر .

٣ ـ ليس معنى الالتزام بالهدوء هو عدم الرد على اعمال العدو الاستفزازية بل من الممكن الرد عليه ولكن بحذر وحكمة مع وتكبيده خسائر فى المعدات والأرواح حتى يعلم انه أمام جبهة لا زالت قادرة على القتال رغم الضربة التى تلقتها .

ولعبت المدفعية المصرية الدور الرئيسى فى مرحلة الصمود لأنها كانت السلاح الوحيد الفعال فى ذلك الوقت . اذ كانت المدفعية ترد على اعمال العدو بقصفات نيرانية مؤثرة على قواته . ولقد ابدع رجال المدفعية وتفننوا فى تعاملهم مع قوات العدو خلال هذه الفترة بل لقد استغلت هذه الفترة للتدريب اثناء التراشقات . فكنت ترى قائدا خلال التراشق وقد تواجد فى مركز ملاحظة مدفعية قائم بالاشتباك وقد أمسك بساعة زمنية يقيم فيها ضابط مركز الملاحظة ويعلن له فى النهاية الدرجة التى تحصل عليها .

ولقد شهدت هذه المرحلة بعض الملاحم البطولية التى أظهرت المعدن الحقيقى للمقاتل المصرى ، فكانت معركة راس العش ، واغراق المدمرة ايلات وغير ذلك من الأعمال التى يعرفها الجميع .

معارك المدفعية

بعد ان تمكنت القوات المسلحة من اعادة بناء قواتها المسلحة جزئيا واستعادة قدرتها الدفاعية الى حد لا بأس به ، قررت القيادة العليا التحول الى استراتيجية الدفاع النشط أو الدفاع الوقائى والتى كان الهدف منها :

١ ـ عدم السماح لاسرائيل بتحويل خطوطها الحالية الى خطوط بقاء تقوم بتحصينها .

٢ ـ اقناع اسرائيل بأن الاحتفاظ بهذه الخطوط عبء مرهق تحت وطأة ضربات المدفعية المصرية .

٣ ـ بقاء المشكلة الدولية ساخنة ليحس بها العالم ولا ينساها .

٤ ـ رفع معنويات القوات المسلحة المصرية والشعب المصرى وبذلك تحبط المخطط الاسرائيلى عن الحرب النفسية ضدنا .

ولقد بنى تقدير الموقف المصرى لرد الفعل الاسرائيلى على أن اسرائيل امامها أحد حلين فى حالة اتباعنا استراتيجية الدفاع الوقائى :

ـ اما أن تلجأ الى شن حرب شاملة ضد مصر حتى تحتفظ لنفسها بالتفوق الذى احرزته وتوقف النمو المطرد للقوة العسكرية المصرية وتئدها فى مهدها قبل أن يستفحل داؤها . وفى الوقت نفسه تستكمل انتصاراتها الضائعة وتفرض ارادتها وبذلك تنتهى الى الأبد من مشكلة ـ فى رايها ـ أنها تهدد الكيان الاسرائيلى ووجوده كله .

ـ او أن تستمر فى سيطرتها على الأراضى التى تمكنت من الاستيلاء عليها فى عدوان ١٩٦٧ ، وتستمر فى محاولة تهويد أكبر جزء منها لفرض الأمر الواقع بمرور الزمن ، رغم ما فى ذلك من تكاليف باهظة يتحملها الاقتصاد الاسرائيلى نتيجة احتفاظ اسرائيل بقوات عسكرية ضخمة معبأة لفترة طويلة . مع العمل على وقف التصاعد الذى قد يحدث على جبهة القناة بأسلوب العقاب أو الردع وذلك بقيامها بأعمال جيمس بوندية عسكرية محدودة ومركزة تحدث آثارا مادية ونفسية مثل الاغارات على بعض المناطق النائية وغارات العمق وغير ذلك من الأعمال .

ولقد قررت الاستراتيجية المصرية المضى فى تنفيذ نظرية الدفاع الوقائى أو النشط انطلاقا من أن اسرائيل سوف تلجأ الى الحل

الثاني لأن الحل الأول غير مستطاع بالنسبة لها لاسباب استراتيجية كثيرة منها أن التوسع يزيد العبء على اسرائيل لفرض سيطرتها على أراضي شاسعة وأنه سيؤدى الى ذوبان قواتها المسلحة ويستنزف جهدها ويجعلها أكثر تعرضا لأعمال رد الفعل المحتملة ، كما أن قواتها المسلحة ستفقد ميزة استنادها الى مانع طبيعي قوى هو قناة السويس يضمن لها لفترة طويلة من الزمن عدم تعرضها لضربات مصرية مضادة واسعة النطاق . هذا بالاضافة الى أن الخلفية السياسية العالمية غير مهيأة لشن حرب شاملة جديدة على العرب بعد أن تحولت اسرائيل بعد عدوان ١٩٦٧ من حمل وديع ضعيف الى دولة قادرة جيشها لا يقهر .

٨ سبتمبر ١٩٦٨ :

على الرغم من أن معارك المدفعية بدأت قبل هذا التاريخ (بدأت فعلا من ٦٨/١/٣٠) الا أن يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ يعتبر تحولا كبيرا فى اعمال المدفعية المصرية على الجبهة المصرية حتى أن القوات المسلحة اعتبرت هذا التاريخ هو « يوم المدفعية » يقام فيه احتفال كبير تكريما لها ولما قدمته من أعمال بطولية خلال العمليات .

تقرر فى يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ تنفيذ قصفة نيران مركزة قوية ضد جميع الأهداف المعادية على طول مواجهة قناة السويس وبعمق حتى ٢٠ كيلو متر بغرض :

(ا) تكبيد العدو اكبر خسائر ممكنة فى قوته البشرية وأسلحته ومعداته .

(ب) تدمير الخط الدفاعي الأول الذى بدأ يبنيه على شاطىء القناة .

(ج) فرض السيطرة النيرانية للمدفعية على جبهة القناة .

(د) رفع معنويات قواتنا واثبات أن جيش مصر قد هب من كبوته ليقول كلمته فى الصراع الدموى الدائر بين العرب واسرائيل .

ولقد اشتركت جميع وحدات المدفعية على طول المواجهة فى هذا الاشتباك وامكنها أن تكبد العدو فيه خسائر جسيمة كانت :

اسكات	١٧	بطارية مدفعية
تدمير	٦	بطارية مدفعية
تدمير	١٩	دبابة
تدمير	٣	عربة نصف جنزير
تدمير	٢٧	دشمة مدفع ماكينة
تدمير	٢	مدفع مضاد للدبابات
تدمير	٨	موقع صواريخ أرض/أرض
تدمير	٢	مخزن ذخيرة
تدمير	٤	مخزن وقود ومناطق ادارية
تدمير	١٣	لورى

وكانت هذه الخسائر هى التى أمكن رصدها بالعين المجردة ، وما خفى كان اعظم ، ولكن قيادتنا حرصت على أن تكون بياناتها مؤكدة لبث الثقة فى النفوس .

ولقد كان للتخطيط والتحضير الجيد والسرية فى تنفيذ العملية اثر كبير فى نجاح هذا الاشتباك وتنفيذ المهمة بكفاءة تامة حققت المفاجأة التامة للعدو . وتم فى الوقت نفسه معاونة عبور الداوريات ، والتى نجحت اعمالها بفضل التعاون الجيد بين المدفعية وهذه الداوريات .

ولقد نجحت المدفعية المصرية فى تنفيذ هذه المهمة وفرض تفوقها النيرانى على أرض المعركة للأسباب التالية :

(ا) كان هذا الاشتبارك هو اول اشتباك تم التخطيط له بدقة ونفذ على طول المواجهة .

(ب) تم تأكيد وتدقيق جميع الأهداف المعادية وحـــددت اماكنها بدرجة عالية من الدقة لتكون النيران مؤثرة للغاية .

(ج) تواجد جميع قادة المدفعية على مختلف المستويات فى مراكـز ملاحظة تشرف على ارض المعركة .

(د) استخدمت اساليب حديثة فى ادارة النيران .

(هـ) كان لدقة نيران المدفعية فى هذه القصفة الأثر الكبير فى تدمير معظم اهداف العدو ، وتعتبر المهمة قد حققت الغرض منهـا وهى تدمير الصواريخ ارض/أرض ــ ٢١٦ مم كمهمة اساسية لأنها كانت تهدد مدن القناة .

قصفات نيرانية هامة :

بعد ٨ سبتمبر المجيد ، يوم المدفعية المصرية ، الذى فرضت فيه المدفعية المصرية نفسها على المعركة ، كان لزاما عليها أن تحافظ على هذا التفوق وان تؤكد انها ذراع القوات المسلحة القوى الذى يمكنها به أن تؤكد الصمود وتردع العدو عند اللزوم .

قررت القيادة العامة للقوات المسلحة تخطيط قصــفات نيرانية مركزة على قوات العدو الاسرائيلى . وقامت قيادات المدفعية عـلى جميع المستويات بالتخطيط التفصيلى لتنفيذ هذا المخطط فقـامت بما يلى :

(ا) الاستطلاع التفصيلى لجميع الأهداف ودراستها ودراســة طبيعة تحصيناتها .

(ب) اختيار انسب الأعيرة التى تتفق مع درجة التحصــين لكل هـدف .

(ج) اجراء الأعمال المساحية الدقيقة لضمان سقوط جميع الطلقات على الهدف تطبيقا لمبدأ الاقتصاد .

واخذت المدفعية المصرية تهدر يوميا ، ليلا ونهارا ، تصب الحمم على العدو وتعرقل تحركاته وتحيل حياته على ضفاف القناة الى جحيم لا يطاق ... واخذت خسائر العدو تتزايد يوما بعد يوم .

وتميزت أعمال المدفعية خلال هذه الفترة حتى فبراير ١٩٦٩ بالنشاط النيراني القوى ، والتفوق على مدفعية العدو ، ونجاح ضربات المدفعية فى احداث خسائر مادية ومعنوية جسيمة فى العدو الإسرائيلى . واصبحت اسرائيل تواجه موقفا غير طبيعى ، فخسائرها فى الأرواح على جبهة القناة تتزايد يوما بعد يوم نتيجة القصف المدفعى لمواقعها شرق القناة . وبدات الصورة تهتز فى نفوس جنودها . وعلى ضوء ذلك لم يكن امامها الا أن تلجأ للأسلوب الاستراتيجى التقليدى وهو القيام بأعمال الردع العسكرى . وتحت الظروف السائدة وقتذاك حددت اسرائيل مدى هذا الأسلوب وطريقته ، ورات أن ينحصر داخل نطاق الرد على الأعمال العسكرية ، وعلى ان تكون الأهداف ذات نوعية خاصة ليكون لها تأثير نفسى وسياسى داخلى وخارجى وتحت سيطرة حتى لا يؤدى ذلك الى تدهور مفاجىء فى الموقف العسكرى . وكانت الاغارة على نجع حمادى فى اول نوفمبر ١٩٦٨ ، والاغارة ضد مطار بيروت فى ديسمبر ١٩٦٨ . وكانت الحسابات الاستراتيجية الاسرائيلية تهدف الى ابطال اعمال القصف النيرانى الذى قامت به المدفعية المصرية على جبهة القناة . ولكن نتائج هذه الأعمال كانت عكس ما توقعوا ، وفشل اسلوب « الردع المحدود » وكانت له آثار ضارة على الموقف السياسى العالمى لاسرائيل اذ استنكرت معظم دول العالم هذه الأعمال .

الاستنزاف

وبينما توقعت القيادة الاسرائيلية ان استراتيجية الردع المحددة ستؤتى ثمارها قررت القيادة المصرية التحول الى مرحلة الاستنزاف . وبدات القوات المسلحة المصرية فى مارس ١٩٦٩

تنفيـــذ خطة تدمير خط التحصينات الذى اقامته اسرائيـــل على ضفاف القناة . وفى الثامن من مارس تمكنت المدفعية المصرية من تدمير الجزء الاكبر من هذا الخط بعد قصف استمر لمـــدة خمس ساعات مستمرة . وتم التخطيط لمنع العدو من استعادة كفاءة هذه التجهيزات باستمرار القصف المدفعى عليها فى حالة قيامه بمحاولة استعادة كفاءتها . وخصصت وحدات من المدفعية مهمتها عرقلة التحركات فى مسرح العمليات بل ومنعها . ووصلت وحدات المدفعية فى ذلك الى مستوى عال من الكفاءة النـــادرة . ولقد رايت بنفسى ضابط مدفعية فى مركز الملاحظة تمكن من تدمير عربة نصف مجنزرة لحظة دخولها الى نقطة قـوية رغم انها كانت تتحـــرك خلف ساتر ترابى لا يظهر منها الا هوائى الجهـــاز اللاسلكى . فلقد تمكن هذا الضابط من دراسة اسلوب تحرك هذه العربة الذى تكرر لعدة ايام ، وتمكن أن يحدد سرعتها تماما وطريق تحركها ، واجرى على ذلك عـــدة تجارب صامتة ، وقام بحساب الزمن الذى تستغرقه دانة مدفعه الى مدخل النقطة القوية وبالتالى حدد المكان الذى بوصول العربة اليه يجب أن تنطلق الدانة لتتقابل مع العـــربة عند مدخل النقطة القوية . وكان له ما أراد وسقطت الدانة اصابة مباشرة فى العـــربة التى انفجرت وكان بهـــا ثمانية ضبـــاط اسرائيليين قتلوا جميعا ، وكوفىء الضابط وسريته على ذلك مكافأة سخية من السيد وزير الحربية .

وتطورت حرب الاستنزاف فبدأت اعمـــال العبـــور للقـــوات المسلحة المصرية بمجموعات صغيرة ثم اغارات بأحجام اكبر وصلت الى الكتيبة . ونجحت أعمال الاغارات وتحولت من نصب الكمائن الى الاغارة على النقط القوية . وعلى سبيل المثال لا الحصر فى يوم ٦٩/١٠/٣ تمت الاغارة على النقطة القـــوية للدفرزوار فقامت المدفعية بستر عملية عبور المانع المائى والوصول الى مداخل النقطة القـــوية بأن صبت على النقطة كميـــة كبيرة من النيران . وتمكنت

قوة الاغارة بعد رفع نيران المدفعية من اقتحامها وتدمير من بداخلها وكانت خسائر العدو فى هذه النقطة تدمير ٢ دبابة ، ٤ موقع صواريخ ، وقتل عدد كبير من الأفراد .

واظهرت هذه الاغارة المستوى العالى الذى وصلت اليه قواتنا فى نواحى تنظيم التعاون بين قائد مجموعة الاغارة وضابط المدفعية المرافق له ، والمستوى الرفيع لوحدات المدفعية فى دقة النيران واضاءة ارض المعركة وعزل المنطقة ومنع احتياطيات العدو القريبة من التدخل . كما تمكنت من اسكات بطاريات مدفعية العدو فور اكتشافها ومنعها من ضرب قوة الاغارة أثناء عملها داخل النقطة القوية واثناء انسحابها وعودتها سالمة الى الضفة الغربية .

ومثال آخر هو الاغارة على لسان بور توفيق يوم ١٠/٧/١٩٦٩ وما اظهرته المدفعية من قدرة على معاونة قوة الاغارة بكفاءة عالية . فلقد استمرت الحرائق بأهداف اللسان نتيجة ضرب المدفعية لعدة ساعات ، وتمكنت المدفعية من تدمير ٥ دبابات احداها عند مدخل اللسان حاولت نجدة الدبابات الأخرى الموجودة على اللسان ، وظهرت جميعها وهى مشتعلة ولمدة طويلة . وتمكنت قوة الاغارة من قتل حوالى ٤٠ فردا وتم اسر جندى . ولقد صدق السيد رئيس الجمهورية فى نفس الليلة على منح جميع الأفراد المشتركين نوط الشجاعة .

وهكذا كان طبيعيا أن تحاول اسرائيل الانتقام من عمليات الاستنزاف المصرية ففكرت فى استراتيجية « الردع الجسيم » باستخدام القوات الجوية كأداة ردع عنيفة يمكن أن تحسم الموقف وتجبر مصر على ايقاف استراتيجية الاستنزاف الدامى . وبلورت القيادة الاسرائيلية خطتها لذلك فقررت تعطيل وارباك آلة الحرب المصرية وشل قدرتها على العمل الايجابى ، وتوجيه ضربات قوية الى نفسية ومعنويات الشعب المصرى لاضعاف وحدته والعمل على

انهياره من الداخل . وساعدها على اتخاذ هذا القرار وصول شحنات من طائرات « سكاى هوك » الأمريكية واستيعاب قواتها الجوية لها ، كما أن طائرات « الفانتوم » كانت على وشك الوصول الى اسرائيل (أول دفعة فى سبتمبر ١٩٦٩) بعد اتمام تدريب الطيارين والفنيين على استخدامها . وكانت اهـداف اسرائيل العسكرية من هذا المخطط هى : ـ

(أ) تدمير نظام الدفاع الجوى المصرى ، والقوات الجوية المصرية وبذلك تتحقق لها القـدرة على تنفيـذ استراتيجية الردع الجسيم بعد أن تتحقق لها السيادة الجوية الكاملة .

(ب) اسكات النشـاط العسكرى المصرى المؤثر فى منطقة القنـاة واحباط حرب الاستنزاف التى بدأتها مصر .

(جـ) عرقلة بناء القوات المسلحة المصرية وبذلك تموت فكرة امكانية شن حرب هجومية لتحرير الأرض .

(د) نقل الاحساس بوطاة الحرب الى الاراضى المصرية والشعب المصرى وبذلك لايكون أمام مصر الا التراجع عن مواصلة القتال او تتصدع الجبهة الداخلية . ويتحقق ذلك بغارات العمق او استراتيجية البعد الثالث كما كان يحلو للبعض أن يسموها

ووضعت اسرائيل خطتها لتنفيذ هذه الأهداف الاستراتيجية وقسمتها الى ثلاث مراحل أو ثلاثة ابعاد :

البعد الأول : ويتم فيه شن غارات جوية ضد القوات المصرية المتمركزة على طول جبهة القناة مع التركيز ضد عناصر الدفاع الجوى ووحدات المدفعية .

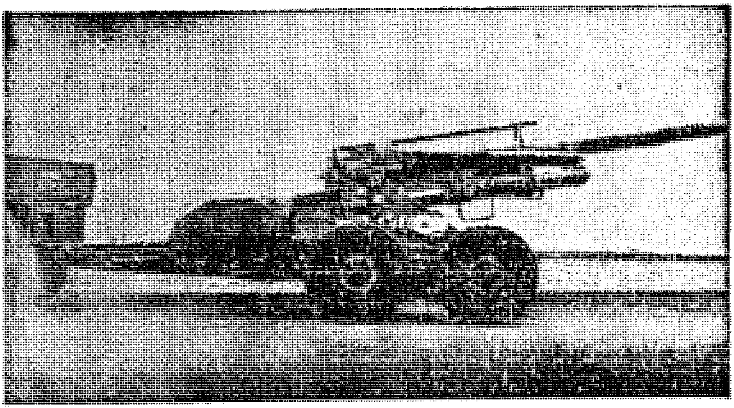
البعد الثانى : وتزيد فيه من نشاط القوات الجوية ليشمل سواحل خليج السويس .

البعد الثالث : وفيه تنفذ غارات العمق مع استمرار الغارات على الجبهة ايضا .

ولكى لا اطيل الحديث فى دراسة الخطة الاسرائيلية ومدى نجاحها أو فشلها ، وما هو رد فعل القيادة المصرية ازاء ذلك سيقتصر حديثى على تأثير هذا المخطط على أعمال المدفعية بالجبهة وكيف أمكن لنا احباط عمل القوات الجوية الاسرائيلية ومنعها من تدمير المصدر الرئيسى للنيران بالقوات المسلحة المصرية وهو المدفعية .

واحب ان انوه هنا ـ قبل ان أن اتعرض للمدفعية ـ بأن القوات المصرية استمرت ـ رغم المخطط الاسرائيلى ـ تمارس أعمالها العسكرية المتنوعة . وازداد حجم اعمال الداوريات والكمائن وقصفات نيران المدفعية .

تعرضت المدفعية المصرية لتركيز شديد من الطيران الاسرائيلى بهدف بتر اليد الطويلة للقوات المسلحة المصرية ، وبالتالى تقليل الخسائر البشرية التى بدأت تزعج المجتمع الاسرائيلى وتهز اسرائيل من الداخل . ويكفى ان اقدم بعض الاحصائيات التي قامت بها قيادة مدفعية الجيش الثانى ضمن دراسة علمية ، قامت بها لتطوير طريقة واسلوب عمل المدفعية المصرية ، ليتضح مدى ما تعرضت له المدفعية المصرية من قصف عنيف . وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف قصف المدفعية المصرية للمواقع الاسرائيلية لحظة واحدة .



مدفع ميدان مجرور

وهذه امثلة قليلة من الكثير لتوضيح محاولة العدو الاسرائيلى اسكات المدفعية المصرية مستخدما طيرانه بعد ان فشلت مدفعيته فى ذلك .

فهل تمكنت القوات الجوية الاسرائيلية من اسـكات المدفعيـة المصرية ؟ ان الرد على هـذا السؤال توضحه امثلة قليلة ايضا عن اعمال المدفعية خلال الفترة من اول يناير ١٩٧٠ وحتى ٣٠ يونيـو ١٩٧٠ فى قطاع الجيش الثاني الميداني :

التاريخ	الخطة التي نفذت	خسائر العدو	الأهداف التي ضربت
١٩٧٠/٤/٢٩	قصفة نيران باسم انتقام	تدمير ٦٨ فرغل، وتكسير ٤٠ دشمة، واسكات ١٥ بطارية .	جميع الدشم الموجودة في مواجهة الجيش وجميع الأهداف والبطاريات في القطاع الشمالي من الجبهة
١٩٧٠/٦/١٠	قصفة نيران باسم هدير	اسكات ١٤ بطارية للعدو، تدمير رتل للعدو، اسكات ١٢ نقطة قوية للعدو، تدمير ١٤ عربة، واحد دبابة، تهايل معظم الدشم .	
٧٠/٦/٢٠	قصفة نيران	اسكات ٢ بطارية للعدو، تدمير ٤ بلدوزر، تدمير عدد من الدشم، قفل جميع فراغل الدشم .	في القطاعين الأوسط والشمالي
٧٠/٧/٢٩	قصفة نيران بالصواريخ	الخسائر غير منظورة ولكن ادارة المخابرات تحصلت على معلومات تفيد حدوث خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات .	هدف في العمق
٧٠/٥/٣٠	معاونة كمين في القطاع الشمالي		عزل منطقة الكمين بالنيران اسكات ٢ بطارية معادية تدمير ٢ دبابة
ليلة ٢٩ – ٣٠ ابريل ١٩٧٠	معاونة اغارة على نقطة قوية	اسكات ٦ بطارية معادية، ستر قوة الاغارة أثناء عبورها وعودتها ومنع دبابات العدو من الوصول الى مكان الاغارة تدمير عدد من القوارب، خسائر بشرية جسيمة، فشلت الاغارة بفضل المدفعية ونيرانها المؤثرة حاكمت اسرائيل قائد القوة لفشله .	القطاع الشمالي قوة اغارة للعدو تقدر بسرية مشاة
ليلة ١١ – ١٢/٦/١٩٧٠	منع محاولة للعدو للعبور ومهاجمة الكاب والتينة		

جدول يوضح امثلة عدد الغارات الجوية التي تعرضت لها بعض وحدات المدفعية خلال الفترة من مارس ١٩٧٠ حتى آخر يونيو ١٩٧٠

التاريخ	الوحدة	مدة القصف الجوي	عدد الطائرات	أنواع القنابل
١٣ مايو	سرية	٨٥ ق	٢٤ طلعة/طائرة	قنابل زنة ٥٠٠ رطل ، ١٠٠٠ رطل
٧ مارس	سرية	٤٠ ق	١٨ طلعة/طائرة	قنابل زنة ٢٥٠ رطل ، ٥٠٠ رطل
١٣ ابريل	سرية	١٠ ق	٤ طائرة	قنابل زنة ٥٠٠ ، رطل ، ١٠٠٠ رطل
١٣ ابريل	كتيبة	٤٥	٢٤ طلعة/طائرة	قنابل زنة ٥٠٠ ، رطل ، ١٠٠٠ رطل
١٥ ابريل	كتيبة	٤٥	٢٤ طلعة/طائرة	» » »
٢٠ ابريل	كتيبة	٦٠	١٨/طلعة/طائرة	» » »
١ مايو	كتيبة	١٥	٤ طائرة	» » »
	كتيبة	٥ ساعة	٧٠ طلعة/طائرة	» » »
	كتيبة	١٥ دقيقة	١٢ طلعة/طائرة	» » »
	كتيبة	٢٠ دقيقة	١٢ طلعة/طائرة	» » »
	كتيبة	١٢ دقيقة	١٠ طلعة/طائرة	قنابل زنة ٥٠٠ رطل ، ١٠٠٠ رطل
	»	١٥ دقيقة	١٢ طلعة/طائرة	» » »
	»	١٠ دقيقة	٤ طائرة	» » »
٦ مايو	»	٢٥ دقيقة	١٢ طلعة/طائرة	» » »
٧ مايو	»	١٥ دقيقة	١٢ طلعة/طائرة	» » »
٨ مايو	»	٢٠ دقيقة	١٢ طلعة/طائرة	» » »
٩ مايو	»	٥ر١ ساعة	٤٠ طلعة/طائرة	» » »
١٨ مايو	»	٤٥ دقيقة	١٨ طلعة/طائرة	» » »
٥ يونيو	»	٤٥ دقيقة	٢٤ طلعة/طائرة	» » »
٧ يونيو	»	٤٥ دقيقة	٢٤ طلعة/طائرة	» » »
٩ يونيو	»	٤٥ دقيقة	٣٦ طلعة/طائرة	» » »
٥ اغسطس	»	١١٥ دقيقة	٤٠ طلعة/طائرة	» » »

وهناك عشرات من الأعمال الأخرى لا محل للحديث عنها هنا أولا لان الهدف من هذا الكتاب الحديث عن المدفعية خلال عمليات اكتوبر وثانيا لأنها ستأخذ حيزا كبيرا من الكتاب لا داعى له .

وصف لحرب الاستنزاف لضابط هندى كبير :

« يصف الكولونيل ب . ك نارايان حرب الاستنزاف فى كتابه « الحرب الاسرائيلية العربية الرابعة » يقول :

« ان المرحلة الثانية تغطى الفترة من مارس ١٩٦٩ حتى اغسطس ١٩٧٠ . ولقد عرفت هذه الفترة باسم « حرب الاستنزاف » (war of attrition) . وكانت حرب الاستنزاف امتداد لمبدأ حرب العصابات التى أعطت القوة العسكرية الأضعف القدرة على الصمود ضد قوات نظامية عدوانية محتلة ، مسببة خسائر فى الرجال والعتاد استمرت لفترة طويلة . وكان الهدف هو اشعار العدو بأنه غير آمن وتؤثر فى معنوياته وفى رغبته فى البقاء ، وتجبره على استخدام قوات أكبر لتأمين خطوط مواصلاته ومنشآته الى ان يقتنع بأن بقاءه فى الجبهة والتمسك بهذه الخطوط لا طائل من ورائه . لقد كانت حركة مقاومة ابتدائية تهدف الى تمزيق العدو . لم تكن مصر فى عام ١٩٦٩ قادرة على مواجهة الجيش الاسرائيلى فى حرب شاملة ولكنها كانت قادرة على ان تستمر فى القتال لفترة طويلة مع الاحتفاظ بالصراع فى حدود معينة حتى تشعر القوات الاسرائيلية بضغط قصور القوة البشرية لأن عليها أن تحتفظ بقوات احتياطية كبيرة معبأة الأمر الذى يثقل كاهل اقتصاد اسرائيل .

لقد بدأت حرب الاستنزاف بقصف نيرانى مستمر من المدفعية المصرية ضد المواقع الاسرائيلية على طول مواجهة القناة . ولما لم يكن فى مقدور المدفعية الاسرائيلية أن تسكت المدفعية المصرية فلقد اضطرت الى القيام بتوجيه ضربات جوية فى يوليو ١٩٦٩ ضد مرابض نيران المدفعية المصرية ولكن هذه الضربات لم تنجح فى التقليل من تأثير

المدفعية المصرية . ولذلك قررت اسرائيل شن حرب استنزاف ضد مصر بالقيام بغارات فى عمق الاراضى المصرية » .

« لقد اثبتت حرب الاستنزاف للمصريين أن المثابرة والعزيمة هما الضمان الرئيسى للنجاح . كما اكتسبت القوات المصرية خبرة فى مواجهة الغارات الجوية الاسرائيلية والتكتيكات البرية بعد أن استوعبت الاسلحة السوفيتية الحديثة . وبدلا من الحرب الخاطفة ذات النتائج السريعة البراقة التى اعتادها جيش اسرائيل اضطرت اسرائيل الى أن تقوم بحرب دفاعية ثابتة وتكتيكات دفاعية ضد الاغارات المصرية . ولقد حزن الاسرائيليون لهذا الانقلاب الجديد فى الموقف العسكرى والسياسى والذى فرض على اسرائيل اتباع الحذر وأن تصرف النظر عن غارات العمق » .

ومن هذا الوصف يتضح مدى تأثير الاعمال القتالية العظيمة التى قامت بهـــا المدفعيـــة المصرية والتى أدت الى تغيير جـذرى فى الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية واجبرت اسرائيل على ادارة حرب دفاعية لم تتعودها ، وبدأت تحس وطأة خسائر القوة البشرية الناجمة من الضربات النيرانية القوية التى وجهتها المدفعية المصرية لقواتها .

وقف اطلاق النار وبناء خط بارليف

وفى ٨ اغسطس ١٩٧٠ قبلت مصر وسوريا واسرائيل وقف اطلاق النيران (١) المؤقت . وكانت مصر قد تمكنت من تدعيم دفاعها الجوى فى جبهة قناة السويس الأمر الذى نتج عنه حدوث خسائر جسيمة فى الطيران الاسرائيلى الامر الذى أجبر اسرائيل على قبول وقف اطلاق النار .

---

(١) اذاعت وكالات الانباء فى ٣٠ اغسطس ١٩٧٠ تصريحا لابا ايبان قال فيه « لولا وقف اطلاق النار لواجهت اسرائيل تصاعدا فى الحرب مع مصر ، وبالتالى زيادة القتلى والجرحى وتآكل التفوق الجوى الاسرائيلى ... أن رفض وقف اطلاق النار يضع اسرائيل فى موقف اخطر وأشد صعوبة مما هو الآن .

واستفادت مصر من فترة وقف اطلاق النار فى استكمال بناء شبكة الدفاع الجوى عن الجمهورية . وبدأ لكل رجل عسكرى أن هـذا النظام المتكامل فى الدفاع الجوى المصرى سيكون له تأثير كبير على اى نشاط عدوانى جوى اسرائيلى جديد . كما أن هـذه الحماية ستطلق يد المدفعية المصرية فى تدمير الخطوط الدفاعية الاسرائيلية ، وبالتالى تزداد الخسائر البشرية والمادية فى القوات المعتدية .

وبدات القيادة الاسرائيلية فى بناء خط بارليف لوقاية قواتها من نيران المدفعية المصرية ومن قنابل الطائرات المصرية .

خط بارليف الحصين :

يصف كتاب حرب عيد الغفران (كيبور) خط بارليف من وجهة النظر الاسرائيلية واعتقد أنه من المفيد أن نطلع عليها ، فالكتاب يقول :

« لقد تكلف بناء خط بارليف ما يقرب من مليارين من الليرات الاسرئيلية وهو مبلغ ضخم بالنسبة لاسرائيل . وكما فعلت فرنسا عام ١٩٣٩ (بالنسبة لخط ماجينو) فان اسرائيل كانت تغط فى نومها وراء هذا الحصن الرائع الجميل .

لقد كانت الضرورة هى التى املت بناء هذا الخط . فحتى يونيو ١٩٦٧ كان متفقا على أن الحرب اذا وقعت فان القتال سيدور فى ارض العدو . ونتيجة للشكل الجغرافى لاسرائيل بتلك الحدود التى لا نهاية لها ، والتى لا معنى لها نظرا لأن المسافة فى بعض المناطق بين الحدود والبحر لا تكاد تصل الى ١٨ كيلو مترا ، فانه لم يكن امام اسرائيل أى تكتيك آخر . وترتيبا على ذلك فان الجيش الاسرائيلى كان لابد له أن يكون جيشا هجوميا خفيف الحركة قادرا على أن يباشر الهجوم على الفور . وكان الضباط الاسرائيليون الكبار على ثقة من انه حتى فى حالة وقوع هجوم مصرى فان الجيش الاسرائيلى سيكون قادرا على مجابهة المهاجمين واعادتهم من حيث جاءوا بعد

السياسية المحضة هي التي كانت لها الغلبة . وكانت أهم هـذه النظرية ، غير أنه عندما تعين اتخاذ قرار تكتيكي دفاعي فان الاعتبارات السياسية المحضة هي التي كانت لها الغلبة . وكانت أهم هـذه الاعتبارات ما أوحت به رغبة اسرائيل في أن تحتفظ بقواتها على ضفة القنال لكي تخلق حالة واقعة ، ولكي تجعل المصريين يدركون ومعهم العالم بأكمله ، أن القناة لا يمكن فتحها للملاحة الا بتنفيذ الشروط التي أعربت عنها اسرائيل . وعلى ذلك فانه كان على الاسرائيليين أن يلتصقوا بضفة القناة . وفي البداية عمدت هذه القوات الى بناء خنادق لها على طول المر المائي في مواقع مؤقتة على نحو أو آخر . فلما شن المصريون حرب الاستنزاف وعرضوا الضفة الشرقيـة لنيران مستمرة من مدفعيتهم حسنت القوات الاسرائيلية من مواقعها وراحت تشيد الحصون لتكفل لهما الحماية .

وكان الامر عند ذلك مجرد حرب ثابتة تعيد الى الذاكرة من نواح كثيرة حرب الخنادق الشهيرة في الحرب العالمية الاولى . . .

ومن اجل دعم هذه الحرب المستمرة التي راح ضحيتها مئات من جنود الوحدات الرابضة في الخنادق على طول ضفة القناة فلقد أصبح ضروريا توفير حماية عاجلة لهذه القوات وكان أول من وضع خططا لخط من المواقع الحصينة هو الجنرال ابراهام آدان . وكان يتوقع أن تجهز هذه المواقع بالاجهزة الالكترونية التي من شأنها اعطاء الانذار الى قوات المؤخرة وبذلك يقضي على كل محاولة مصرية لعبور القناة .

كان المشروع يقضي ببناء دشم قوية حول المحاور الاربعة التي تبدأ عند القناة ثم تتغلغل داخل سيناء في اتجاه الممرات الاستراتيجية في شبه جزيرة سيناء وقد بنيت المواقع واغلبيتهـا في مجموعات متقاربة بهدف أن يقوم كل منها بتغطية الأخرى في حالة تعرضـها للهجوم . وكانت المواقع الرئيسية الاربعة هي التي اقيمت في كل من

بور توفيق (فى مواجهة السويس) وفى الوسط (فى مواجهة الاسماعيلية) وفى محور القنطرة ، وعلى بعد عشرة كيلو مترات من بور فؤاد .

ولم تكن شبكة هذه الحصون ـ وقد بلغت فى مجموعها ٣٦ ـ تمثل سوى جزءا من مجموع الخط الذى كانت تدخل عليه التحسينات عاما بعد عام فيزداد قوة وتدعيما . واستمر البناء فيه شهورا طويلة ، ولقد استخدمت فى البناء عشرات الجرارات والبولدوزرات ، وجاءت آلاف السيارات محملة بالأحجار من الشمال لكى تفرغ حمولتها من أجل انشاء المصطبة المضادة للقنابل . ولاختبار صلابة هذه الحماية قام الجيش الاسرائيلى عمدا بضربها بدانات المدافع السوفيتية التى غنمها فى حرب الأيام الستة .

وسرعان ما أصبحت هذه المواقع أماكن اقامة حقيقية بها كل وسائل الراحة ، من اجهزة اتصال محسنة ، واجهزة لتكييف الهواء ، ومراوح ، ومياه جارية ، وخزائن لحفظ الطعام . وكان كل موقع منها يشبه من الخارج احدى قلاع العصور الوسطى ، وقد بدا كالدبابة العملاقة القادرة على أن تقابل بوسائلها الخاصة وأن تتحمل الحصار الطويل . ولقد زود شاغلوا هذه المواقع بقوة نيران كبيرة نسبيا ولا تستدعى الا عددا صغيرا من الأفراد يطلقوها . وكان يتعين ان يحتل كل منها ما بين ٣٠ ، ٣٥ فردا لضمان توفير استقلال ذاتى لها فى القتال وتحمل أى هجوم من قوات تفوقهم عددا . وتبعا للحسابات التى أجراها الخبراء فان هذه المواقع كانت قادرة على أن تقاوم لمدة اسبوع لواء من المدرعات . وكانت المواقع مزودة (من جانبها) بمدافع الميدان وبالرشاشات الثقيلة والخفيفة ولكنها لم تزود عمليا بالأسلحة المضادة للدبابات .

ومع مضى الشهور تحولت المواقع الحصينة لكى تصبح اغلى الشقق فى اسرائيل فلقد استنفدت كل منها عشرات الملايين من

الليرات الاسرائيلية واستخدم فيها آلاف من العمال والخبراء لبنائها . ولم يكن أى جيش عصرى فى العالم ليستحق كل هذه الظروف المرهفة للحياة فى أى موقع متقدم فيه كل الأجهزة اللازمة.

كانت غرف الجنود فى الدشم مزودة بحماية كافية وكان هناك عدد كبير من مخازن الاطعمة المزودة بالمطابخ الكهربائية الحديثة التى تتيح للجنود الذين يعملون بها قضاء خدمتهم فى أفضل الظروف .

ولقد انجز بناء خط بارليف على ثلاث مراحل ففى المرحلة الاولى وحتى القصف الكبير عام ١٩٦٨ فان الضرب المستمر قد اثبت ان المواقع لا تصمد لقوة تلك النيران ، وان الابقاء على الجنود فى تلك الظروف كان يعادل تعريضهم للانتحار واستغرقت المرحلة الثانية كل الفترة التى دارت فيها حرب الاستنزاف حتى اغسطس ١٩٧٠ .

وفى اول وقف اطلاق النار الذى استمر ثلاثة شهور كان هناك سباق حقيقى مع الزمن فلقد كانوا يخشون أن تعود المدافع المصرية لكى تدوى بعد تلك الشهور فأخذوا يعملون فى تطوير المواقع المدمرة التى أصبح عدد كبير منها خرائب وحطاما وفى خلال هذه الشهور الثلاثة من وقف اطلاق النار وجدها انفقت على الخط ثلاثون مليونا من الليرات .

هذا ما يقوله الاسرائيليون عن خط بارليف وهو يوضح مدى اعتمادهم على هذا الخط لوقاية قواتهم ومنع قواتنا من اقتحام القناة .

واعتمد الاسرائيليون فى بناء خط بارليف على ما يلى :

١ ـ نتائج الخبرة المكتسبة من تحصينات مسارح الحرب المعاصرة بما فى ذلك حرب فيتنام .

٢ - دراسة كاملة لامكانيات دانات المدفعية وقنابل الطائرات المصرية .

٣ - اختيار أماكن النقط الحصينة التى ستنشأ بحيث تسيطر على مناطق العبور المحتملة لقناة السويس وعلى طرق الاقتراب الى القناة . وأن يتحقق بينها تعاون بالنيران .

٤ - مبدأ الدفاع المتحرك الذى يعتمد اساسا على الهجمات والضربات المضادة باحتياطيات محلية وقريبة وتكتيكية وتعبوية كل من القوات المدرعة ذات قوة الصدمة وخفة الحركة والقدرة على عبور جميع أنواع الأراضى ، وكذا غطاء جوى قوى يؤمن حركة هذه الاحتياطيات وضرباتها .

وعليه بنت اسرائيل خطا حصينا اطلقت عليه اسم « حاييم بارليف » الذى كان رئيسا لأركان القوات الاسرائيلية وهو الذى اقترح بناء هذا الخط .

ويتكون خط بارليف من ٢٢ موقعا حصينا تضم ٣١ نقطة حصينة تسع كل نقطة قوة من المشاة أو القوات الخاصة تصل الى أكثر من فصيلة مسلحة تسليحا خاصا . ويوجد فى معظم هذه النقط عدد من الدبابات والهاونات وقطع المدفعية والرشاشات المضادة للطائرات وكل نقطة حصينة عبارة عن منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تغوص فى باطن الأرض ، وتبلغ مساحتها حوالى ٤٠٠٠ متر مربع .

ولقد زودت كل نقطة بعدد من الملاجىء والدشم جميعها قادرة على تحمل القصف الجوى أو ضرب المدفعية الثقيلة بفضل الطريقة التى بنيت بها والتى تعتمد على شكاير الرمل والقضبان الحديدية والبلاطات الخرسانية والدبش وغير ذلك المواد (انظر شكل ٢) .

وجهزت كل دشمة بعدة فتحات لأسلحة المدفعية والدبابات ،

وتتصل جميع الدشم ببعضها البعض بواسطة خنادق مواصلات عميقة مكساة بألواح من الصاج أو الصلب وشكاير الرمل . كما جهزت كل نقطة بحيث يمكنها تحقيق الدفاع الدائرى ، كما قسمت الى اجزاء يمكن لكل منها أن يقاوم ويدافع دفاعا دائريا اذا ما سقط الجزء أو الأجزاء المجاورة له .

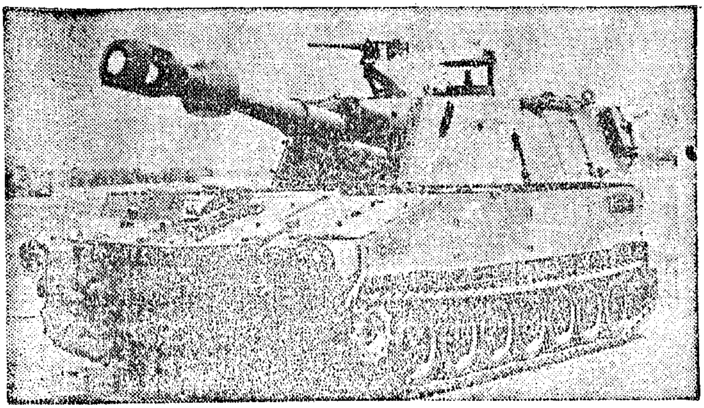
ويوجد بداخلها عدد من مرابض الدبابات والعربات المدرعة وبعض الرشاشات المضادة للطائرات والرشاشات المتوسطة والهاونات ومواقع الصواريخ ارض — ارض كما توجد بها منطقة شئون ادارية بها حمامات وأدبخانات (دورات مياه) ونقط ملء وبعض الأكشاك وانشيء بها سواتر عرضية وطولية بغرض تحديد انتشار الشظايا وتأثير موجة الضغط الناتجة من انفجار دانات المدفعية ، كما تستخدم عند الضرورة لتوفير عمق للنقطة فى حالة استيلاء قواتنا على الساتر الأول . ولكل نقطة قوية من واحد الى ٢ مدخل تتحكم فيها اسلحة تضرب على خط ثابت ليلا كما زود العدو النقطة القوية من الداخل بأسلاك شائكة تتخللها ممرات ملتوية وذلك بغرض زيادة زمن تعرض قواتنا اذا ما نجحت فى دخول النقطة وبالتالى تكون لديه الفرصة للقضاء عليها .

وكان ارتفاع الساتر الترابى المحيط الذى يمثل المحيط الخارجى للنقطة القوية من العلو بحيث يحقق لها الحركة المستمرة داخل النقطة ، وميدان ضرب نار جيد حولها ، وسيطرة بالنيران على مياه القناة فى مواجهة النقطة وعلى أجنابها . وجهز هذا الساتر بشبكة من الخنادق وحفر الأسلحة لتحقيق الدفاع الدائرى .

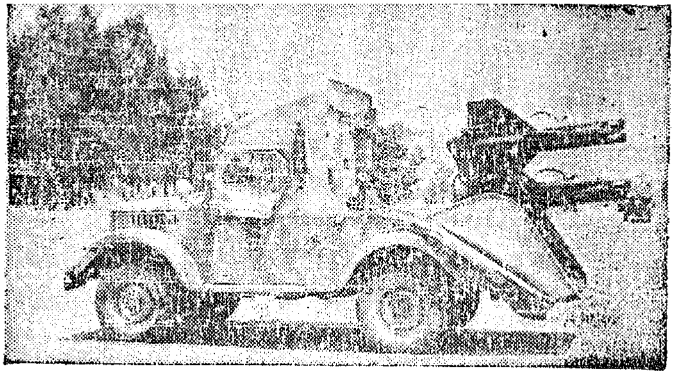
ولزيادة مناعة النقط الحصينة أحاطها العدو بنطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المرتفعة الكثافة والعميقة حتى يحدد الاتجاهات التى يتحتم على القوات المصرية منها اقتحام النقط وبذلك يسهل تدمير قوة الاقتحام . وقام بتوصيل نقطه القوية

ببعضها البعض بواسطة مدقات قام برصفها حتى يخفى تحركاته لأن المدقات الترابية ينتج عنه غبار عند التحرك عليها .

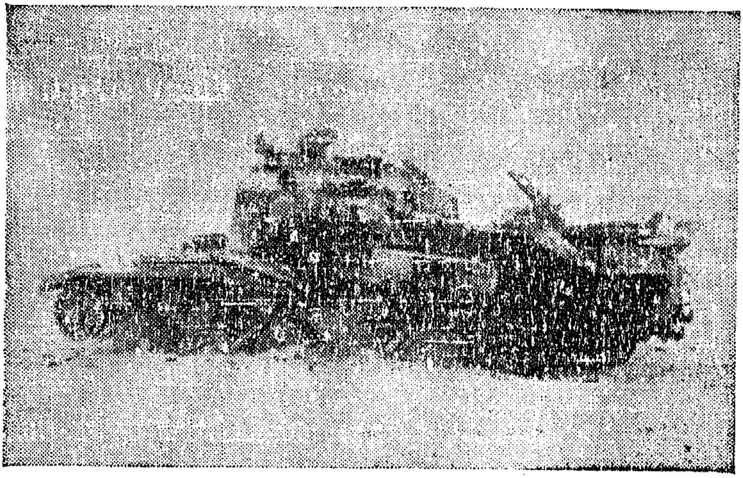
كما بنى العدو الاسرائيلى موقعان حصينان لبطاريتين مدفعية احدهما شرق بور فؤاد ليضرب منه مدينتى بور فؤاد وبور سعيد ، والآخر فى عيون موسى ليضرب منه مدينة السويس والزيتية .



مدفع ذاتي الحركة



صاروخ موجه مضاد للدبابات على عربة خفيفة



دبابة اسرائيلية دمرتها نيران المدفعية



صواريخ موجهة مضادة للدبابات على عربة مدرعة



آثار ضرب المدفعية على نقطة قوية

الوصف العام للملجأ الحصين (الدشمة)

يتكون الملجأ او الدشمة الحصينة من :

(أ) ملجأ حديد مكسى بألواح صاج معرج حوله أكتاف من شكاير الرمل والحجارة بارتفاع ٢٫٢٥ متر وعرض حتى ٢ متر يستند عليها من أعلى طبقة من قضبان السكك الحديدية (٤ صفوف فوق بعضها البعض) ويملأ الفراغ بين سطح الملجأ وقضبان السكك الحديدية بالرمال (حتى ٥٠ سم) .

(ب) يلى ذلك طبقة من الرمال المقواة بفلنكات سكك حديدية مرتكزة على ناحية واحدة للاستفادة من خاصية المرونة ولتعمل كسوستة ، أو مقواة بقضبان سكك حديدية بدلا من الفلنكات وسمك هذه الطبقة ٣ أمتار .

(جـ) طبقة قاسية من قضبان السكك الحديدية المتعامدة (المتقاطعة والمربوطة) أو الملحومة مع بعضها البعض (٣-٤ وصات)بارتفاع حتى ٣٠ - ٤٠ سم .

(د) طبقة قاسية من المكعبات الخرسانية المربوطة مع بعضها البعض بأسياخ حديدية (٦ - ٨ طبقات) بارتفاع حتى ٢ متر .

(هـ) ومن ذلك يتضح أن اجمالى سمك الطبقات المختلفة يصل الى من ٥ الى ٦ متر .

(و) ولقد تمت تكسية جدران الدشم المختلفة بعدة أساليب كالآتى :

١ - التكسية بواسطة الدبش وذلك بعمل ستائر من سلك الارانب حول أجناب الدشم ومرتفعة عن سطحها بحيث يسمح بترك فراغ يملأ بالدبش (قطع من الحجارة) .

٢ ـ التكسية بواسطة شكاير الرمل وذلك بتطهير أجناب الدشمة أو الملجأ وازالة الردم ثم رص طبقات من شكاير الرمل المقواة بفلنكات السكك الحديدية ابتداءا من مستوى سطح قاع الدشمة حتى يصل الى مستوى القضبان الحديدية ثم يتم رص مكعبات فطبقة من الشكاير حتى ارتفاع ١٫٥ متر فوق سطح الدشمة .

٣ ـ التكسية بواسطة حوائط الدبش المحصور داخل تقفيصات من السلك الشبكى المسبق صنعه مقاس ١ × ١ × ٣ متر .

المدفعية المصرية وخط بارليف :

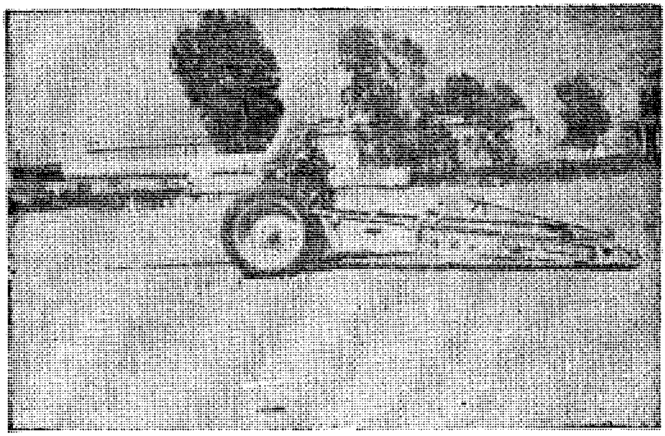
كان بناء خط بارليف اشارة لرجال المدفعية للبدء فى دراسة الطريقة التى يمكن بها التغلب على هذه الحصون ، والبحث عن وسيلة جديدة قادرة على سحق هذه الدشم . واجريت دراسة عملية اعتمدنا فيها على ما يلى :

١ ـ مراقبة مراحل بناء النقط الحصينة عن كثب استمرت ليلا ونهارا ، وتم خلالها تصوير كل شىء بالتفصيل .

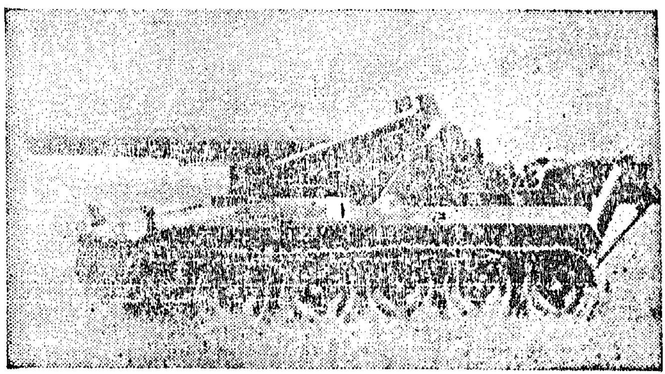
٢ ـ عمل سجل تاريخى تفصيلى لكل نقطة حصينة يوضح مراحل البناء والتكوين والقوة وغير ذلك من المعلومات .

٣ ـ عمل دراسة علمية عن قوة تحمل الدشم والملاجىء ، واجراء الحسابات العلمية اللازمة لذلك .

٤ ـ معرفة نقط الضعف فى خط بارليف ونقط القوة فيه ، لأن كل خط دفاعى لا بد وان تكون له نقط ضعف اذ يستحيل ان يكون قويا فى كل مكان ولو حاولت ذلك لكنت ضعيفا فى كل مكان .



هاونزر ثقيل مجرور له تاثير تدميري كبير



مدفع ثقيل محمل على شاسيه دبابة

الباب الثالث

التحول العظيم

التخطيط والاعداد

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

« صدق الله العظيم »

بعد أن نجحت القوات المسلحة المصرية من اعادة بناء نفسها وشن حرب استنزاف دامية ناجحة ، ادارت راس العدو الاسرائيلي وافقدته اتزانه ، بدأ الاعداد للتحول العظيم واعنى بالتحول العظيم التحول من استراتيجية الدفاع الى استراتيجية الهجوم .

تقدير الموقف :

قبل اتخاذ أى قرار عسكرى تقوم القيادة باجراء ما نسميه « تقدير الموقف » الذى يشمل عناصر كثيرة اهمها :

١ ـ العـــدو .

٢ ـ قواتنـــا .

٣ ـ الأرض .

وفى اعتقادى أن من واجبنا تجاه شعبنا الحبيب أن نتحدث من تقدير موقف قيادتنا بالنسبة لبند العدو باختصار وفى بساطة فكل مصرى يرغب فى أن يعرف عن العدو الاسرائيلى الذى حاربناه كل شىء . أما تقدير الموقف بالنسبة لبند قواتنا فلن اتحدث عنه الا فى حدود البيانات التى صرحت بنشرها الدولة حفاظا على السرية وامن الدولة . وسأتحدث عن بند الارض بتفصيل محدود أصف

فيه طبيعة المانع المائى وطبيعة ارض سيناء حتى تتضح للقارىء صورة ما واجهه الجندى المصرى من عقبات تخطاها وتغلب عليها فى اعجاز وباقتدار .

العدو :

يعتنق العدو الاسرائيلى نظرية الدفاع المتحرك الذى يعتمد أساسا على الاحتياطيات القوية الخفية الحركة لتوجيه هجمات وضربات مضادة قوية لتدمير القوات المعادية التى تنجح فى اختراق الخط الأمامى ، ومع ذلك فلقد بنى العدو خط بارليف الذى يتكون من ٣١ نقطة حصينة على طول القناة صممت جميعها بنظام واحد (أنظر الباب السابق) . وفى رأيى أن المهمة الرئيسية لهذه النقط تلخصت فيما يلى :

— وقاية الأفراد ضد التأثير النيرانى لمدفعيتنا وقواتنا الجوية مع قدرتها على الصمود ضد أى هجوم يرى من أى اتجاه لانها مجهزة بدفاع دائرى يعتمد على سلسلة من نقط النيران الموجودة فوق الساتر تتصل ببعضها البعض ومع الملاجىء والدشم بسلسلة من خنادق المواصلات العميقة . كما زودت هذه الدشم ببعض المراغل (مقفولة بوسيلة ما يمكن فتحها فى الوقت المناسب) لانتاج نيران مؤثرة للأجناب وفى الخلف وداخل صحن النقطة القوية .

— اعطاء انذار ببدء العمليات من جانب القوات المصرية .

— اعطاء معلومات دقيقة فى الوقت المناسب عن عمليات اقتحام المانع وخاصة فى المراحل الأولى للهجوم .

— السيطرة على بعض المناطق الصالحة لعبور القناة والطرق الطولية المؤدية الى عمق سيناء .

— ادارة نيران المدفعية وتوجيه الطيران .

ولقد قام العدو بانشاء جدار (ساتر) ترابي على طول القناة بارتفاع وصل الى ٢٠ مترا ، وانشأ عليه مرابض نيران لدباباته وعرباته المدرعة بفاصل من ١٠٠ الى ٢٠٠ متر الأمر الذى حقق له كثافة تصل الى ٨ مربض فى كل كيلومتر على طول المواجهة بحيث يمكن لأى دبابة تحتل اى مربض الضرب على قواتنا فى المنطقة الابتدائيــة للهجوم وعلى الشاطىء الغربى للقناة وانتاج نيران جانبية مؤثرة على القوات اثناء العبور . كما انشأ عددا آخر من السواتر الترابية على عمق يتراوح بين واحد وثلاثة كيلومترات من الشاطىء الشرقى للقناة بنظام خاص وذلك لاستخدامها كخطوط نيران لدباباته اذا لم تنجح فى احتلال الســاتر الترابى الموجود على حد ميــاه القناة أو بواسطة دباباته التى ترتد تحت ضغط هجوم القــوات المصرية . وبذلك يحقق أول عنصر من عناصر الدفاع المتحرك وهو تكبيد قواتنا القائمة بالهجوم اكبر خسائر ممكنة فى جيوب نيرانية قوية وخلق الظروف المناسبة لقيام احتياطياته بالهجمات أو الضربات المضادة .

ولقد روعى فى انشاء هذه السواتر أن تمكن قواته من منع قواتنا من الانتشار وخلق جيوب من النيران للقضاء عليها فى المراحل الأولى من العبور خاصة وانها ستكون فى هذه المراحل عبارة عن مشـــاة صرف مدعمة ببعض أسلحة المدفعية المضـــادة للدبابات الخفيفـة المحدودة العدد .

ولتنفيذ فكرته الدفاعية احتفظ العدو بعدد من الاحتياطيـــات التى تمركزت على أعماق مختلفة للقيام بهجمات مضادة وضربات مضادة متتالية . فكان له احتياطى محلى تمركز على عمق من ٥ الى ١٠ كم قوته تصل الى سرية دبابات وسرية مشـــاة ميكانيكية ، واحتياطى قريب على عمق من ١٥ الى ٢٠ كم قوته حتى كتيبة مشاة ميكانيكية مدعمة بسريتين دبابات (٢٦ دبابة) ، ثم احتياطى تكتيكى تصـــل قوته الى لواء مدرع (١١٠ دبابة) ولواء مشـــاة ميكانيكى (٣٤٣ عربة مدرعة) على عمق يصل الى ٣٠ ـ ٤٠ كيلو مترا .

وبدراسة احتمالات اعمال العدو المنتظرة يمكن استنتاج ما يلي : —

١ ـ اذا تمكن العدو من اكتشاف نوايانا للهجوم يحتمل ان يقوم بتوجيه ضربة جوية مركزة ضد قواتنا بهدف الحصول على السيطرة الجوية بتدمير جدار الصواريخ المصرية والقوات الجوية المصرية ، بعد ذلك تكون لقواته الجوية حرية العمل ضد القوات البرية وخاصة المدفعية .

٢ ـ بفرض امكان صد الضربة الجوية أو تحمل نتائجها وتحول القوات المصرية للهجوم من المتوقع ان يدفع احتياطياته المحلية لتحتل الدبابات والعربات المدرعه مرابض النيران على الساتر الترابي لضرب قواتنا في المناطق الابتدائية للهجوم على الشاطىء القريب واثناء اقتحام قناة السويس .

٣ ـ بفرض امكان التغلب على ذلك سترتد هذه الدبابات الى السواتر الترابية (خطوط النيران) المجهزة على مسافة من واحد الى ثلاثة كيلومترات شرق القناة وتقوم منها بالتعامل مع قواتنا وتكبيدها أكبر خسائر ممكنة ، وخلق الظروف المناسبة لتدميرها بالهجمات المضادة بالاحتياطيات الأكبر ومنع انتشار قواتنا للأجناب وفي العمق مستفيدة من عدم عبور دباباتنا ووحدات المدفعية المضادة للدبابات الثقيلة في المراحل الأولى من الاستيلاء على رؤوس الكباري (الشواطىء) .

٤ ـ بفرض امكان العبور واستيلائنا على الساتر الترابي الموجود على الشاطىء الشرقي وتأخر دبابات العدو وعرباته المدرعة في احتلال مرابضها على هذا الساتر قبل ساعة الصفر من المنتظر ان تقوم هذه الدبابات والعربات المدرعة باحتلال خطوط نيران في العمق (١ — ٣ كم) خلال ٣٠ ق من بدء المجموع

وتحاول تدمير قواتنا التى عبرت بنيرانها مستفيدة من عدم وجود دبابات مع وحداتنا .

٥ ـ اذا فشلت هذه المحاولات فى تدمير قواتنا سيقوم العدو بدفع النسق الثانى التعبوى (الاحتياطى التالى) للقيام بهجمات مضادة ضد اتجاهات نجاح قواتنا بمهمة تدمير رؤوس الشواطىء الابتدائية او منع قواتنا من الانتشار وتكبيدها أكبر خسائر ممكنة وخلق الظروف المناسبة لدفع احتياطياته التعبوية .(قوة كل احتياطى حوالى ١١١ دبابة ولواء مشاة ميكانيكى) للقيام بهجمة مضادة قوية ضد كل راس شاطىء مصرى لتدميره واستعادة الأوضاع على شاطىء القناة .

٦ ـ اذا فشل هذا الهجوم المضاد سيوجه ضربات مضادة باحتياطياته التعبوية (بقوات أكبر) بغرض تدمير رؤوس الشواطىء واستعادة الأوضاع على شاطىء القناة .

استنتاجات :

من دراستنا لأعمال العدو المنتظرة وفكرته فى الدفاع عن القناة يتضح ان أحرج الأوقات والمواقف لقواتنا هى المدة التى ستبقى فيها مشاتنا بعد اقتحامها للقناة الى أن تعبر الدبابات والاحتياطيات المضادة للدبابات ، اذ ستتعرض فيها مشاتنا لهجمات مضادة ثلاث ؛ بالاحتياطى المحلى ، والاحتياطى القريب ، والنسق الثانى التعبوى للعدو . وأخطر هذه الهجمات المضادة هى الهجوم المضاد بالنسق الثانى التبعوى الذى تصل قوته ضد رأس شاطىء كل فرقة مصرية الى لواء مدرع (١١١ دبابة) ولواء مشاة ميكانيكى .

وهنا تلعب المدفعية المصرية دورها الحيوى الرئيسى اذ عليها أن تحمى المشاة من هذه الهجمات سواء بنيران الرمى الغير مباشر أو بالصواريخ الموجهة المضادة للدبابات الفردية التى تعبر مع مشاتنا فى المراحل الأولى اعتبارا من سعت الصفر فعلى المدفعية ان تتعامل

مع هذه الاحتياطيات اثناء تحركها على طرق الاقتراب واثناء فتحها للهجوم ثم عليها ان تنتج ستائر من النيران لمنع هذه الهجمات من الوصول الى قواتنا ، وعلى الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات أن تدمر اى دبابات تنجح فى عبور ستائر النيران وتقترب من مشاتنا » وسنرى فيما بعد كيف نجحت المدفعية فى ذلك نجاحا باهرا يجعلها بحق قوة النيران المتفوقة فى قواتنا المسلحة ويدعونا الى تطـويرها لأن العدو الاسرائيلى حتما سيطور مدفعيته ليتمكن من اسـكات المدفعية المصرية وبذلك يضرب قواتنا المسلحة فى أكثر اسلحتها تفوقا عليـه .

الأرض :

ان التسلسل الطبيعى لتقدير الموقف أن نتحدث عن قواتنا بعد العدو ، ولكنى آثرت أن أتحدث عن بند الأرض لأدمج فيها المشـاكل التى اعترضت قواتنا وكيف تغلبنا عليها ، ولكى لا اتحدث عن قواتنا بما قد يمس السرية والصالح العام . وسأكتفى فى حديثى عن الأرض بمناقشة ثلاث نقاط رئيسية وهى :

(ا) الحديث عن قناة السويس كمانع مائى قوى .

(ب) الحديث عن طبيعة الأرض فى سيناء والمشـاكل الناجمة عن ذلك .

(جـ) تجهيز مسرح العمليات للمعركة الرئيسية قاصرا حديثى على ما يمس المدفعية .

قنـاة السويس :

عندما اتحدث عن قناة السويس كمانع مائى لا اعتبر ذلك افشاء لأسرار لأن شركة قناة السويس والتى كانت فرنسية لديها وصف دقيق مستفيض لكل شىء . ولكن غالبية الشعب المصرى لا يعرف عنها الا النذر اليسير . ولذلك رأيت انه يجب أن اتحدث عنها .

ان اهم ما يميز قناة السويس كمانع مائى من وجهـــة النظر العسكرية ما يلى :

١ ـ لها شواطىء شديدة الانحدار مكساة بستائر خرسانية او من الصلب تمنع نزول وصعود المركبات البرمائية الا بعد تجهيزات هندسية مسبقة تتطلب اعمالا خاصة يلزمها وقت طـويل . وهى صفة تنفرد بها اذا ما قورنت بأى مانع مائى فى العـالم عدا قناة بنما .

٢ ـ يتراوح عرض القناة بين ١٨٠ ، ٢٢٠ مترا كما أنها تعتبر من الموانع العميقة جدا اذ يصل عمقها الى ١٨ مترا . كما أن سطح المـاء ينخفض عن مستوى حافة الشاطىء بحوالى اربعة أمتار الأمر الذى يعوق رسو وسائل العبور المختلفة الا بعد تكسـير وتسوية حافة الشاطىء ، كما أن هذا العمق يمنع عبـورها خوضـا .

٣ ـ يتغير مستوى مياه القناه ٤ مرات خلال اليوم الواحد (خاصة المد والجزر) بسبب البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمـر ويبلغ فارق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جزر حـوالى ٦٠ سنتيمترا فى الجزء الشمالى منها ثم يتزايد كلما اتجهنا جنوبا الى أن يبلغ مترين قرب مدينة السويس . وما من شك أن هذه الظاهرة لها تأثيرها على عبور القنـاة وهـو ما روعى فى تخطيط اقتحامها من حيث التوقيت ومخطط العبور وانشاء المعديات والكبارى .

٤ ـ تتميز القناة بسرعة عالية ومتغيرة فهى تبدأ بحـوالى ٨ر٠ متر/ثانية وتصل الى ٢ر١ متر/ثانية ، كما أن اتجاه التيار يتغير دوريا كل ست ساعات من الشمال الى الجنوب وبالعكس وما من شك أن هذا التغيير سيؤثر على انتخاب اماكن الابحار وأماكن الابرار (النزل) فى عبور القناة .

٥ - زاد العدو من قوة المانع المائى بأن أنشأ على ضفته الشرقية ساترا ترابيا وصل ارتفاعه الى ٢٥ مترا شكل منه مواقع لدباباته وقواته . وبذلك زاد عبء الأعمال الهندسية على القوات عند عبور القناة .

تأثير مسرح العمليات فى شبه جزيرة سيناء على الأعمال القتالية للمدفعية :

لقد عاش العدو الاسرائيلى فى سيناء بعد حرب ١٩٦٧ مدة تصل الى سبع سنوات درسها فيها دراسة وافية ، كما أن التصوير الجوى العلمى الحديث جعل دراسة اى مسرح عمليات أمر سهل وبسيط . ولذلك فحديثنا هنا عن تأثير مسرح العمليات على الأعمال القتالية للمدفعية ليس فيه افشاء لاسرار وانما هى دراسة علمية بحتة احاول فيها أن أسلط الأضواء على سيناء الحبيبة حتى يلم كل مصرى بها كجزء من وطنه ويكون على علم بأهميتها الاستراتيجية لمصرنا .

ينقسم الاتجاه الاستراتيجى الشمالى الشرقى (سيناء - اسرائيل) الى اتجاهين تعبويين هما الاتجاه التعبوى الساحلى والاتجاه التعبوى المركزى . ويمتد الأول بمواجهة من ٤٠ الى ٩٥ كيلو مترا ويصل عمقه الى ٤٥٠ كم . ويخدم هذا الاتجاه محورين طوليين أساسيين وعدد من المحاور العرضية . والمحاور الطويلة هى محور الطريق الساحلى الواصل بين القنطرة والعريش ومحور الطريق الأوسط الواصل من الاسماعيلية الى العوجة . أما المحاور العريضة فكثيرة واهمها طريق اسفلتى شرق القناة يسير موازيا لها ويقترب منها فى بعض اجزائه الى بضع مئات من الأمتار ويبتعد عنها فى بعض اجزائه الأخرى الى بضع كيلومترات ، وكذا المحور المرضى الواصل من علامة الكيلومتر ٢٠ طريق الجدى حتى شرق الطاسة ثم الى محطة بالوظة فى الشمال . وهذان هما المحوران

العرضيان الموجودان بين القنال والمضايق . وتوجد محاور اخرى عرضية فى العمق لا داعى للحديث عنها فى الوقت الحالى .

والمنطقة حول الطريق الشمالى بها كثير من المواقع الطبيعية (منطقة سهل الطينة ، ومنطقة الكثبان والغرود الرملية الممتدة جنوب بحيرة البردويل) التى تعوق أو تحد تقدم القوات . فالمنطقة شرق محطة بالوظة متسعة نسبيا وتصلح لسير معظم أنواع الحملات ثم تبدأ الكثبان الرملية تحد من الحركة فى منطقة رمانة ثم تتسع مرة ثانية حتى بير العبد ثم تضيق مرة اخرى لتلاصق الطريق حتى مصفق وتصبح المناورة من مصفق وحتى العريش معدومة تقريبا .

ولذلك فان هذا المحور له خصائص مميزة تؤثر على تنظيم الدفاع عليه كما تؤثر على تنظيم الاعمال الهجومية على طوله . ولقد قمنا بدراسة تفصيلية لكل شبر فى هذا الاتجاه التعبوى الهام حددنا بناءا عليها معالم الخطة الواجب اتباعها وحجم القوات التى يمكن أن تعمل فى هذا المحور ونوعية هذه القوات . وبالنسبة لطبيعة هذا المحور أمكن لنا تحديد مدى تأثير طبيعة الأرض واتساعها وهيئاتها الحاكمة على تشكيل قتال المدفعية وعلى أعمال استطلاع المدفعية وادارة النيران .

اما المحور الاوسط (أو محور الطريق الأوسط الواصل من الاسماعيلية شرق حتى العوجة) فيتميز بما يلى :

(أ) المنطقة الممتدة شرق بحيرة التمساح وحتى الطاسة تسمح بأعمال المناورة عدا فى بعض المناطق التى تغطيها كثبان رملية مرتفعة مثل منطقة كثيب وابو كثيرة ، وكثيب الصناعات ، وكثيب الصبحة وكثيب المخازن .. الخ .

(ب) بعد الطاسة تبدأ الكثبان الرملية فى الاقتراب من الطريق فتحد من المناورة بل وتحدد اتجاهات عمل معينة .

(جـ) يمر الطريق فى منطقة اشبه بالمضيق فى المنطقة المحصورة بين جبل الختمية وجبل المغارة .

ويتميز المحور الأوسط بوجود بعض المناطق الحيوية عليه والتى بالسيطرة عليها يمكن الحد من تحرك القوات وتقدمها ، كما أن الكثبان الرملية التى تكتنفه تجعل الأعمال القتالية ذات طابع خاص . ويعتبر هذا المحور حتى المضايق هو أنسب المحاور لعمل القوات المدرعة والميكانيكية وأن كان لطبيعة هـذا المحور تأثير خاص على اعمـال المدفعية بالذات ولكنها لا تؤثر على كفاءة تأثيرها فى المعركة .

ويأتى بعد ذلك المحور الجنوبى ويتميز بما يلى :

١ ـ قرب خط المضايق من القناة ولهذا تأثيره على طبيعة الأعمال القتالية فى هذا المحور .

٢ ـ اهم المضايق على هذا المحور هى ممر متلا ووادى الجدى ومن يسيطر عليها ينعم بحرية المناورة شرق او غرب المضايق .

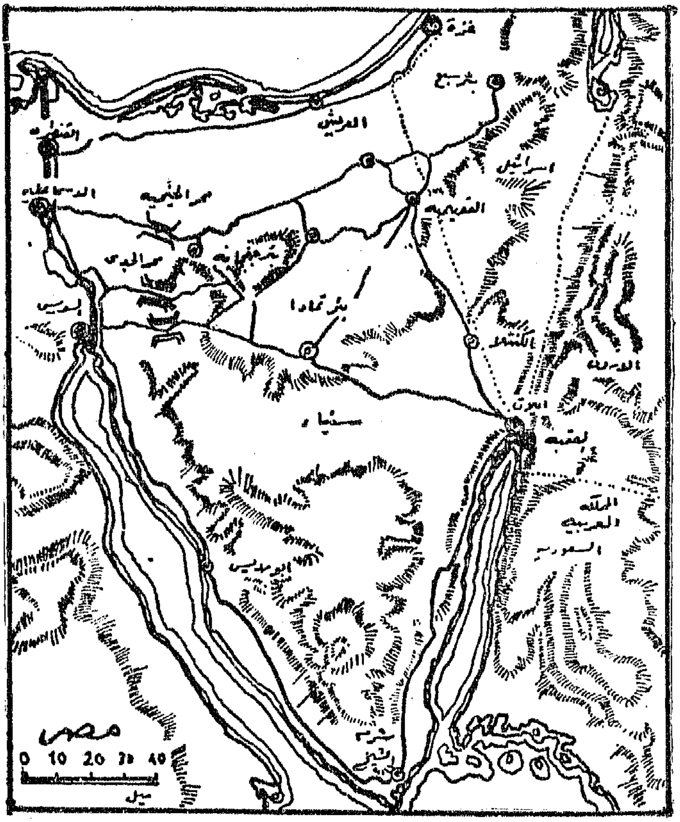
٣ ـ تتميز اعمال المدفعية على هذا المحور بعـدم امكانية تقـديم المعاونة النيرانية من محـور فرعى الى آخر نتيجة الاراضى الجبلية التى تمنع ذلك . لهـذا يتسم توزيع الدعم وخطة استخدام المدفعية بطابع خاص مميز . كما أن نوعية المدفعية الواجب استخدامها فى هذا المحور تتطلب مواصفات خاصة .

الجبال والممرات التى تتحكم فى استراتيجية سيناء : ـ

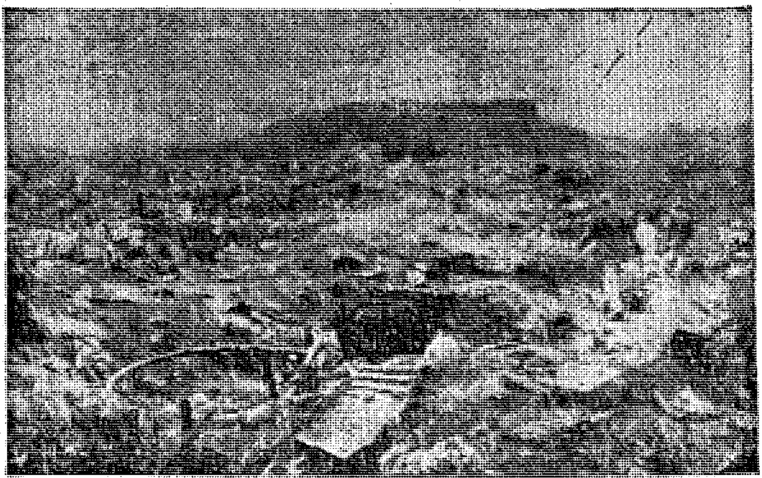
تعتبر الممرات الجبلية الثلاثة التالية هى مفتاح سيناء : ممر الختمية ، وممر الجدى ، وممر متلا . هذا بالاضافة الى منطقـة مصفق التى تتحكم فى المحور السـاحلى .

خطة استخدام المدفعية : ـ

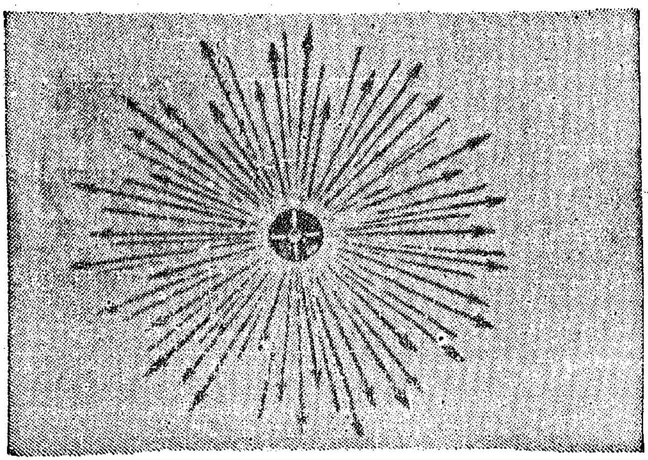
كانت هناك مجموعة من العوامل التى تحكمت فى وضع خطـة استخدام المدفعية وتوزيعها على القطاعات المختلفة اهمها : ـ



شكل (٢٥) الجبال والممرات التي تتحكم في استراتيجية سيناء



آثار ضرب المدفعية جعل النقطة الحصينة غير صالحة



هكذا تنتشر الشظايا عند انفجار دانة مدفع

١ - ضرورة الحصول على السيادة النيرانية فى مسرح العمليات او بتعبير آخر تحقيق التفوق على مدفعية العدو فى كل محور من محاور العمل لقواتنا المسلحة .

٢ - ضرورة تركيز الجزء الاكبر من المدفعية فى اتجاهات المجهود الرئيسى للجيوش .

٣ - تحقيق كثافات فى المدفعية بمختلف انواعها وخاصة المدفعية المضادة للدبابات بما يحقق امكانية معاونة القوات على تحقيق معدلات عالية لتقدم القوات وصد الهجمات والضربات المضادة للعدو .

٤ - تحقيق الاتزان والثبات لرؤوس الكبارى .

٥ - توفير احتياطيات قوية وكافية حتى يمكن مجابهة اى تطور للموقف خلال أيام القتال .

وطبقا لهذه الاسس والعوامل تم وضع خطة استخدام تفصيلية للمدفعية ووزع الدعم على التشكيلات بالأعيرة المناسبة (توزيع نوعى) وبالحجم المناسب(توزيع كمى) لضمان امكانية التعامل مع النقط الحصينة ومع مدفعية العدو بعيدة المدى وغير ذلك من المهام .

وتم وضع مخطط للتمهيد النيرانى روعى فيه الابتعاد عن الأسلوب النمطى نظرا لاختلاف ظروف المعركة عن اى معركة سابقة ، وكان ذلك بمثابة معادلة صعبة اذا كان علينا المفاضلة بين عاملين :

١ - ان تكون مدة التمهيد النيرانى قصيرة لحد ما لضمان صب اكبر قدر من الدانات فى اقصر وقت ممكن على دفاعات العدو لتحقيق المفاجاة واعلى كثافة نيران ممكنة .

٢ - ان تكون مدة التمهيد النيرانى طويلة نسبيا بما يضمن تغطية قواتنا أثناء اقتحامها القناة ووصولها الى الهيئات الحاكمة

القريبة وعزل النقط الحصينة ، وتوفير الوقت الكافى للمدفعية لتدمير حصون خط بارليف . ولتحديد لحظة بداية التمهيد النيرانى بالنسبة لتوقيت بدء اقتحام القناة أجريت عدة دراسات علمية وعميقة لكل العوامل المؤثرة واهمها :

- انسب الظروف الجوية لأعمال المدفعية من حيث العوامل التى تؤثر على سير المقذوف فى الجو واختيار الوقت المناسب الذى يتوفر فيه وقت كاف من النهار ليمكن للمدفعية تنفيذ مهام الرمى المباشر بكفاءة مع عدم اعطاء الفرصة للعدو لتوجيه ضربات جوية متكررة ضد مدفعيتنا لأن ضوء النهار يسهل له اكتشافها واسكاتها .
- انسب الليالى القمرية من حيث أوقات شروق وغروب القمر وشدة الاضاءة وتأثير ذلك على مدى الرؤية وعلى كفاءة اجهزة المراقبة والرؤية الليلة ، وتأثير ذلك على أعمال المساحة للمدفعية وغير ذلك من المسائل . ولقد استغرقت دراسة هذا العامل عدة شهور تم فيها تكوين طاقم عمل من الضباط بدأ عملهم مع غروب الشمس وانتهى مع شروقها يرصدون كل شيء ويدونونه فى صمت وسرية وصبر ثم حللت كل البيانات وخرجنا بأحسن الاستنتاجات .
- زوال الشمس وتأثيرها على الرؤية ، فالشمس فى الصباح تكون أشعتها فى عيون المهاجم من الغرب الى الشرق وبعد الظهر تكون فى صالحه وضد المدافع .
- تمت دراسة استمرت حوالى سنة كاملة تم فيها أخذ متوسطات لسرعة الريح واتجاهاتها على الارتفاعات المختلفة (حتى ٤٠ كم) مع مقارنتها بالمتوسطات التى تنشرها مصلحة الارصاد الجوية فى كتيب عن ٢٠ عاما مضت ، وعملت رسومات بيانية لكل عنصر من عناصر

الأحوال الجوية ومدى تأثير ذلك على ضرب المدفعية ومنها اتضح أن انسب الشهور منها شهر أكتوبر .

وهناك كثير من الدراسات الأخرى ومنها جميعا تم اختيار يوم الهجوم وساعته وأن تكون مدة التمهيد النيرانى ٥٣ دقيقة تبدأ قبل اقتحام القوات الرئيسية للقناة بمدة ١٥ دقيقة وتستمر طوال تقدم القوات الى أن تصل الى أهداف محددة حيوية (أى الى ما بعد بداية الاقتحام بمدة ٣٨ دقيقة) .

وبذلك تم تحقيق ما يلى :

(أ) فى المدة التى تسبق الاقتحام للقناة تنفذ قصفة نيران قوية على جميع الأهداف (نقط حصينة ــ احتياطيات ــ مراكز قيادة وسيطرة ــ بطاريات مدفعية) يتم فيها توقيع جزاء كافى على هذه الأهداف وبذلك يتم شلها تماما ومنعها من التدخل ضد قواتنا وخاصة المفارز التى دفعت مع بداية التمهيد النيرانى (سعت ١٤٠٥) بمهمة الاستيلاء على المواقع المجهزة على عمق من واحد الى ثلاثة كيلو مترات شرق القناة لستر باقى القوات أثناء الاقتحام .

(ب) فى المدة من لحظة اقتحام القوات الرئيسية للقناة (أى من الساعة الثانية ظهرا وعشرون دقيقة) تستمر المدفعية فى اسكات جميع الأهداف والقيام بتنفيذ مهمة تدمير المنشآت الدفاعية الحصينة والقيام بعمل ثغرات فى موانع العدو على الضفة الشرقية فى مواجهة النقط الحصينة ، وكذا تدمير مواسير المواد الملتهبة التى أنشأها العدو لغمر سطح القناة باللهب ، مع استمرار النيران على احتياطيات العدو لضمان عدم تدخلها فى العبور .

(جـ) ضمان وصول القوات التى ستقتحم النقط الحصينة بالمواجهة أو حتى ستلتف على أجنابها لتهاجمها من الأجناب ومن الخلف لتصل جميعها فى نفس الوقت الذى ترفع فيها المدفعية نيرانها

من على هذه النقط بعد أن تكون قد نفذت مهمة التدمير اللازم وفتح الثغرات فى الموانع .

(د) استمرار النيران على بطاريات مدفعية العدو لمنعها من انتاج نيران مؤثرة على قواتنا .

(هـ) تحديد استهلاك الذخيرة المناسب للتمهيد النيرانى بما يحقق تنفيذ المهام المكلفة بها المدفعية بكفاءة تامة واختيار الأعيرة التى تناسب كل منشأة دفاعية للعدو بل وتحديد وضع جهاز تفجير الدانة بما يحقق للدانة اقوى تأثير تدميرى لها .

وبعد التمهيد النيرانى يأتى ما نسميه مساعدات المدفعية للهجوم وتعمل لها خطة تفصيلية تبنى على دراسة طبوغرافية الأرض ومواقع العدو وطرق اقترابه المحتملة وغير ذلك من العوامل التى تؤثر على الرمى . ولقد تم التخطيط بناء على المعلومات المتيسرة عن حجم العدو وتشكيل قتاله ونواياه فى جميع المراحل والتوقيتات بناءا على دراسات مستفيضة قامت بها ادارة المخابرات والاستطلاع المصرية . وتم تنسيق ذلك مع معدل التدفق لقواتنا طبقا لمخطط عبور القناة الذى قام سلاح المهندسين المصرى بوضعه بالاشتراك مع افرع القيادة العامة المختصة ومنها ادارة المدفعية وقيادات المدفعية بالجيوش الميدانية .

واشتملت خطة استخدام المدفعية على التخطيط للتمسك برؤوس الشواطىء وصد الهجمات والضربات المضادة للعدو . ولقد روعى فى هذا التخطيط عدد الدبابات المعادية التى ينتظر أن تقابلها القوات خلال أيام القتال وعدد قطع المدفعية المضادة للدبابات والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات المتيسرة والكافية لصد وتدمير هذه الدبابات ، وحساب امكانيات المناورة بالوحدات وبنيران المدفعية .

ان خطة استخدام المدفعية المصرية وضعت بعناية فائقة واعتمدنا فى وضعها على العلم العسكرى المتطور ، ولذلك نجحت المدفعية المصرية فى تحقيق أهدافها بكفاءة نادرة شهد بها العدو والصديق .

المفاجأة

ان تحقيق النصر فى المعركة يتوقف على عدد كبير من العوامل اهمها السلاح كما ونوعا ، والقوات ومستوى تدريبها والروح المعنوية للأفراد ولكن لاحراز النصر على عدو قوى لا يعتبر ما ذكر كافيا بل يلزم أن تكون القادة والقيادات على درجة عالية من الكفاءة والدهاء ، ولها القدرة على استخدام القوى والوسائل المتاحة بفاعلية وبما يحقق المفاجأة فى الموقف السائد .

ان المفاجأة كمبدأ من مبادىء الحرب معروفة منذ القدم . ولقد حاول القادة فى كل الحروب تحقيقها . والتاريخ حافل بانتصارات حققتها جيوش اقل قوة على جيوش اقوى بفضل المفاجأة وبالرغم من محاولة تأكيد مبدأ أن التاريخ لا يكرر نفسه قط الا أن الواقع خلاف ذلك . قدورات التاريخ المفجعة منها والسعيدة تتكرر وأن اختلفت الصورة . فعلى الرغم من علم دول الحلفاء (انجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتى) بنوايا الألمان ازاء الاتحاد السوفيتى عام ١٩٤١ وعلى الرغم من المحاولات التى جاءت من كافة عواصم العالم تحذر الاتحاد السوفيتى الا أن الجيش الأحمر لم يتخذ أى اجراء يدل على اليقظة والحذر .

وفى صباح الثانى والعشرين من يونيو اجتازت القوات الألمانية نهر بوج واجتاحت الاتحاد السوفيتى .

وعلى الرغم من علم القيادة المصرية عام ١٩٦٧ باحتمالات الهجوم الاسرائيلى لم تتخذ اى اجراء يدل على اليقظة ، وفوجئت هذه القيادة بالضربة الجوية الاسرائيلية وتدمير القوات المصرية على الأرض واختراق القوات الاسرائيلية للحدود .

وفى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ فوجئت اسرائيل باقتحام خمس فرق مصرية لقناة السويس واجتياحها لخط بارليف الحصين ؛ وذلك على الرغم من التحذيرات التى تلقتها القيادة الاسرائيلية العليا .

كيف تحقق ذلك ؟ وكيف حدث ان اسرائيل التى كانت تعتبر نفسها قوة عسكرية متفوقة ، وترى انها اصبحت مضرب الأمثال لكل جيوش العالم ، أصبحت تتخبط كالحيوان المطارد من اجل بقائها وحياتها اذ اصبحت مهددة بالدمار الكامل .

كيف تمكنت القيادة المصرية من تحقيق المفاجأة ؟ وكيف لم يحدس الاسرائيليون ؟ أما كيف لم يحدس الاسرائيليون فسالجأ الى بعض الكتب التى صدرت بالخارج لنرى كيف يفكرون رغم ما قد يكون بها من تحيز . فكتاب كيبور (عيد الغفران) يرجع ذلك الى ثلاثة اخطاء هى :

(أ) الخطأ الذى ارتكبته ادارة المخابرات بالجيش الاسرائيلى والمسئولة عن تجميع المعلومات الخاصة بتحركات مصر وسوريا وتفسيرها .

(ب) والخطأ الذى وقع فيه مجلس الحرب الاسرائيلى الذى اخطأ فى تقدير الموقف ، ووقع فى الشرك الذى نصبه له المصريون دون ان يقيم وزنا للتحذيرات المتكررة القادمة من ادارة المخابرات الأجنبية .

(جـ) والخطأ الذى ارتكبته القيادة العليا لقوات الدفاع الاسرائيلية التى لم تطعن فى التقديرات التى قدمتها ادارات المخابرات ومجلس الحرب ولم تمض فى الاستعدادات الأولية لهجوم مضاد على الجبهتين .

اما كتاب « نظرة على حرب اكتوبر » الذى الفه ستة مراسلون حربيون بريطانيون فيرجع ذلك الى الآتى :

(أ) خلال السنوات الثلاث او الأربع السابقة لحرب أكتوبر ركزت المخابرات الاسرائيلية على ضرب الفدائيين الفلسطينيين وخاصة لمقاومة نشاطهم بالخارج . ولكن الموارد البشرية الاسرائيلية كانت قاصرة . فلايجاد الرجال اللازمين لهذا العمل كان على اسرائيل أن تسحب من مصر وسوريا عددا كبيرا نسبيا من عملائهــا السياســيين الأمر الذى ادى الى نقص مصـــادر معلوماتها . ومن هنا كان الخطأ الكبير فى جهود المخابرات الاسرائيلية وهو انها علمت تماما بامكانيات المصريين ولكنها لم تعلم أو لم تحدس نياتهم .

(ب) ادت الملازمة للفلسطينيين الى عدم الرؤية الاسرائيلية فلقــد قصرت العقلية الاسرائيلية لما أصابها من غرور عن ادراك أن قوة العرب قد تؤدى الى شن حرب شــاملة ، وقدرت أن امكانياتهم لا تعدو شن حرب استنزاف فقط وانهم لن يجرؤا على الدخول فى معركة مع جيش اسرائيل المتفوق . بل ان وزير الدفاع الاسرائيلى ــ موشى ديان ــ ورؤساء أركانه المتعاقبين قد عبروا مرارا عن اقتناعهم بأن العرب خفضــوا من حرب الاستنزاف الى الحد الأدنى نتيجة اقتناعهم بعدم قدرتهم على مواجهة اسرائيل بل انهم لا يجرؤون على ذلك .

(جـ) ويشرح ابراهام كانزير السبب الذى ادى الى حدوث هــذه المفاجأة بقوله :

« لقد كنا نعيش فيما بين عامى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ فى نشوة لم تكن الظروف تبررها ، بل كنا نعيش فى عالم من الخيــال لا صلة له بالواقع . وهذه الحالة النفسية هى المسئولة عن الأخطاء التى حدثت قبل حرب أكتوبر » .

هذه هي بعض الآراء التي أعلنهـا محللون عسكريون غربيون واسرائيليون ولا يعينني صـدقهم أو خطأهم وانما اردت ان القي بعض الضوء على ما أحدثته الانتصارات المصرية من ردود فعل في كل مكان ، أما رأيي في الرد على التساؤل لماذا لم يحدس الاسرائيليون فالخصه في التخطيط المصري الجيـد لتحقيق المفاجأة وفي الصلف الاسرائيلي والغـرور بعد النصر السهل الذي تحقق لها في يونيـو ١٩٦٧ فظن قادتها انهم سوبرمان أو جيمس بوند .

المفاجأة وكيف تم التخطيط لها :

كانت المفاجأة من الأمور الرئيسية الهامة التي شغلت القيادات المصرية لفترة طويلة ، لأن تحقيقها يؤمن للقوات المسلحة النجـاح ويقلل من الخسائر أثناء اقتحام القناة .

وكانت القيادة المصرية تعلم تمام العلم ان اخفـاء حشـد قوات ضخمـة في ظروف التطور الكبير لوسائل الاستطلاع الجـوى أمر مستحيل خاصـة وان اسرائيل لديها طائرات استطلاع الكتروني حديثة كما أن الأقمـار الصنـاعية الامريكية تمدها بكل المعلومات أولا بأول . الا أن ذلك لا يمنع من امكان تحقيقها وكانت اهم الأشياء المطلوب العمل على تأمينها هي :

(أ) خداع العدو عن احتمال قيام مصر بالهجوم وتغذيةاقتناع القادة الاسرائيليين بأن العرب غير قادرين على الحرب . ولقدنجحت القيـادة الاستراتيجية والسياسة المصرية في هذا نجـاحا باهرا ، فلقد امكنها اقناع اسرائيل بأن أي حركات عسكرية انما هي لأهداف سياسية داخليةوخارجية وأسلوب من اساليب الضغط السياسي . حتى أن رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي قال في بيان صحفي يوم ١٩ ابريل ٩١٧٣ ما يلي : « لن يكون من المنطقي ، من جانب المصريين ، أن يبدأوا بفتح النار ، لأن اندلاع الحرب سوف يعود باخطار جسيمة عليهم » . ويبدو أن موشى ديان ورؤساء اركانه

كانوا جميعا واقعين تحت تأثير اقتناعهم بتفوقهم على العرب عسكريا وعلميا وتكنولوجيا ، وكان المصريين بالنسبة لهم لا يستطيعون شيئا ، بل اقتنعوا بأن المصريين عاجزين عن دخول أى حرب وانهم اذا ما دخلوا الحرب فستتمكن اسرائيل من سحقهم بصورة لا تقوم لهم بعدها قائمة . ونتيجة ذلك رفض موشى ديان الاقتناع بالبديهيات التى كانت تفرضها المعلومات المتيسرة والموقف العام . فكل الدلائل وكل الأعمال التى تمت لفترة طويلة قبل الحرب كانت توحى بأن مصر مصممة على القتال وعلى خوض حرب تحرير مهما كان الثمن الذى ستدفعه ويكفى أن نستعرض خطب الرئيس السادات خلال عام عام ١٩٧٢ وعام ١٩٧٣ لأدركنا انه اتخذ قرار الحرب وأن الاجراءات الفعلية لها قد اتخذت . واليك بعض عناصر تحليل الموقف بواسطة ادارة المخابرات الأمريكية عن تحركات المسئولين العرب وعن تحركات الجيوش العربية توحى بأن الحرب فى الشرق الأوسط وشيكة الحدوث :

فى ٢٥ مارس ١٩٧٣ نشرت جريدة الأخبار القاهرية فى مقال افتتاحى :

« اننا سوف ندخل قريبا فى معارك كبرى مع اسرائيل وعلينا أن نعد انفسنا من أجل ذلك معنويا وماديا » .

وفى ٢٨ مارس ١٩٧٣ خبر من جريدة الانهار البيروتية يقول :

« ا ن القوات تنقل ليلا ونهارا من القاهرة الى قناة السويس » وقد أعلنت حالة الطوارىء فى الجيش المصرى الذى ينتظر قرارا على أكبر جانب من الاهمية قد يصدر بين لحظة واخرى .

٩ مايو ١٩٧٣ ـ زيارة المشير أحمد اسماعيل الى دمشق اثناء عودته من العراق .

١٩ مايو ١٩٧٣ ـ الرئيس السادات يزور دمشق لمدة ٧ ساعات

٦ يونيو ١٩٧٣ – وفد عسكرى سورى برئاسة اللواء طلاس يصل القاهرة .

١٢ يونيو ١٩٧٣ – الرئيس السادات يطير الى دمشق لمحادثات مع الرئيس الأسد .

٢٦ سبتمبر ١٩٧٣ – وصـــول معلومات الى ادارة المخابرات الإسرائيلية تفيد بانتشار القوات السورية على طول الحدود .

وهناك الكثير من الدلائل التى تؤكد احتمال نشوب الحــرب الا أن القادة الاسرائيليين المتعجرفين لم يقتنعوا . ولقـــد حاول المتحدثون العسكريون الاسرائيليون تعليل ذلك بقولهم : « انهم رأوا ولكنهم لم يفهموا » ، كما برروا فشلهم بأنهم تركوا مصر توجــه الضربة الأولى مخالفين بذلك الاستراتيجية الاسرائيلية الحقيقية وهى الحرب الوقائية والتى تحتم توجيه الضربة الأولى أو ما يسمى ضربة الاحباط . وعلى ذلك فمن المؤكد ان القيـــادة الاسرائيلية ارتكبت خطأ كبيرا كلف قواتها المسلحة الكثير ، ونجحت القيادة المصرية فى استغلال عقدة فرط الثقة فحققت المفاجأة على المستوى الاستراتيجى .

وفيما يلى ما قاله المشير احمد اسماعيل بعد وقف القتال فى تصريح له عن الخداع الاستراتيجى : « لقد نشرنا فى صحيفــة الاهرام خبرا يقول انه قد سمح للضباط والجنود بتأدية فريضة الحج ، كما أعلنا أن وزير الحربية الرومانى سوف يصل الى القاهرة يوم ٨ أكتوبر » .

(ب) اختيار انسب توقيت للعملية الهجومية :

اهتمت القيادة العامة بدراسة انسب توقيت للهجوم . ولقد استمرت هذه الدراسة لمدة طويلة لأن اختيار هذا التوقيت سيكون له أثر بالغ فى تحقيق المفاجأة وبالتالى تحقيق النصر . وما من شك ان التوقيت يشتمل على ثلاث عناصر : انسب شهور السنة ،

وانسب ايام الشهر ، وانسب ساعة « س » (اى لحظة بدء اقتحام القناة) .

ولاختيار هـذا التوقيت كا علينا أن نستفيد من العوامـل السياسية والطبيعية وأن نعطى الفرصة للقوات المسلحةلتستكمل استعداداتها دون كشف لنية الهجوم . ولقد أدت بنا الدراسـة المستفيضة العملية (١) الى اختيار شهر اكتوبر كانسب شـهر للعملية والسادس من أكتوبر كأنسب يوم والساعة ١٤٢٠ كأنسب ساعة س وذلك للأسباب الرئيسية التالية :

١ ـ كان شهر اكتوبر انسب شهر للعملية للآتى :

ـ يعتبر اكتوبر انسب شهور السنة بالنسبة للأحوال الجوية والمائية المناسبة للعمليات البرية والبحرية والجوية .

ـ ليل اكتوبر طويل يصل الى ١٢ ساعة .

ـ يأتى شهر رمضان المبارك خلال شـهر اكتوبر ، ولا يتوقع الاسرائيليون قيام مصر بأى عمليات خلال هذا الشهر ظنا منهم انه شهر كسل وخمول وان المسلمين لا يحبون الحرب فيـه حتى لا يضيعوا متعة الصيام .

ـ يزدحم شهر أكتوبر بأعيـاد اسرائيليـة ودينية منهـا عيـد الغفران .

ـ ستكون اسرائيل مشغولة بعدد من الحوادث منها الاستعداد للانتخابات العامة .

٢ ـ ولماذا السادس من اكتوبر ؟

ـ يوافق السادس من اكتوبر العاشر من رمضان وهـو تاريخ اسلامي حبيب وهو يوم معركة بدر الذى انتصر فيها المسلمون على الكفار ولهذا أطلقت على العملية الاسم الكودى « العملية بدر » .

— يناسب السادس من اكتوبر ١٩٧٣ عيد الغفران (كيبور) الاسرائيلى وفيه تتوقف الحياة فى اسرائيل فضلاً عن كونه يوم سبت وعطلة نهاية الأسبوع .

— بالنسبة لأيام الشهر العربى وحالة القمر وتوقيتات شروقه وغيابه ويعتبر العاشر من الشهر العربى أنسب توقيت للقمر ففيه يتميز ضوء القمر بالشدة المناسبة التى تساعد على الرؤية لمسافات معقولة ، كما أن توقيتات الشروق والغروب مناسبة .

— يعتبر فرق منسوب مياه القناة فى هذا اليوم مناسبا لعملية العبور .

٣ — اما بالنسبة لساعة « س » فلقد حظيت بجدل كبير واستغرقت الدراسة بالنسبة لها وقتا طويلا حتى ان تقريرها كان موضوع مناقشة بين المشير أحمد اسماعيل والقيادة السورية خلال آخر زيارة لسيادته لسوريا فى ٢ أكتوبر ١٩٧٣ ولقد أدت الدراسة الى أنسب توقيت لساعة س ما بين الساعة الثانية ظهرا او الثالثة ظهرا للأسباب التالية :

— أن يتوفر للقوات الجوية المصرية والسورية الوقت الكافى نهارا لتنفيذ الضربة الجوية المركزة وأن تتاح لها فرصة تكرارها .

— ان تتوفر للمدفعية المصرية الفرصة لضبط نيرانها نهارا وتنفيذ الرمى المباشر لتدمير النقط الحصينة لخط بارليف وأن تنفذ التمهيد النيرانى بكفاءة ليمكن مراقبة النتائج وتصحيح الضرب اذا لزم الأمر .

— ان تتمكن القوات السورية من اجتياز الخندق المضاد للدبابات الذى حفره العدو على طول المواجهة وأن تستولى على المرتفعات الهامة قبل آخر ضوء .

— لا تتوفر للعدو الاسرائيلى الفرصة الكافية نهارا لتركيز قواته الجوية والرد على الضربة الجوية المصرية السورية . كما أن احتياطاته القوية فى العمق ستحتاج لوقت طويل نسبيا للوصول الى الجبهة وتوجيه ضربات مضادة قوية والوقت المتبقى نهارا لا يكفى لها لتنفيذ ذلك . وعليه فلن تتم الهجمات والضربات المضادة الرئيسية قبل أول ضوء اليوم التالى لتجد القوات المصرية وقد استعدت للقائها وتدميرها .

— ان يتوفر الوقت الكافى نهارا لاسقاط معدات العبور الثقيلة

— ان تكون أشعة الشمس فى وجه العدو أثناء عبور القوات وبذلك بحيث يبدأ العبور بعد حلول الظلام مباشرة . تقل كفاءة العدو فى المراقبة والتصويب .

— امكانية فتح الممرات فى الساتر الترابى باستخداى مدافع المياه نهارا لتحقيق اسرعة فى العمل .

— ابرار قوات الابرار الجوى والصاعقة قبل آخر ضوء مباشرة على طرق اقتراب احتياطيات العدو ولتعطيل تقدمها وبذلك تتوفر للقوات الوصول الى خطوط صد مناسبة ومجهزة .

(جـ) سرية التخطيط والتحضير للعملية :

لتحقيق المفاجأة كان لزاما المحافظة على السرية . ولقد تم اختيار أسلوب محدد فى التخطيط ونزول المعلومات الى المستويات المختلفة فى توقيتات محددة مناسبة بما يضمن عدم تسرب المعلومات. كما تم اختيار الأفراد المشتركين فى التخطيط بعناية فائقة بما يضمن السرية ولقد روعى فى تلقين مهام العمليات لبعض المستويات على أنها مشروعات تكتيكية تدريبية . كما قامت أجهزة الأمن بوضع نظام خاص لتداول الوثائق على كافة المستويات يضمن عدم تسرب المعلومات أو احتمال حدوث أى اخطاء . وخلال التخطيط العسكرى الذى استمر لفترة طويلة كان الرئيس السادات يسير قدما فى تنفيذ

استراتيجية مصرية ناجحة تهدف الى تجميع كلمة العرب ، ووضع مخطط عربى مشترك . وكانت استراتيجية السادات ترمى الى :

- خلق جو سياسى عالمى مؤيد للعرب وحقهم فى استرداد الأرض المغتصبة .
- تحقيق ميزة فتح ثلاث جبهات أو جبهتين على الأقل ضد اسرائيل .
- اعداد الدولة للحرب اقتصاديا ومعنويا .

ولقد نجحت الاستراتيجية السياسية للرئيس السادات فى خلق خلفية مناسبة وجو مناسب لأى عمل عسكرى تقوم به مصر . فلقد نجحت مصر فى الحصول على تأييد الدول الأفريقية واصبحت اسرائيل معزولة فى العالم النامى بشكل لم يحدث من قبل . وبدأ سيل المهاجرين الى اسرائيل ينخفض بشكل ملحوظ وأصبح اعتماد اسرائيل فى الهجرة ينصب اساسا على المهاجرين من الاتحاد السوفيتى فقط . بل لقد لوحظ أن الدعم الاقتصادى لاسرائيل من اليهود الغربيين قد انخفضت معدلاته الى حد كبير .

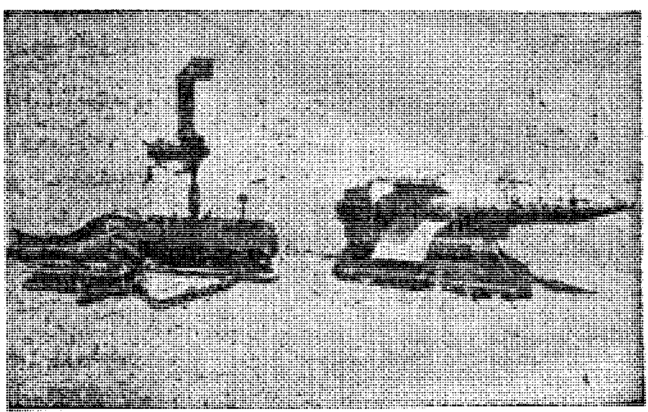
(د) استمرت أعمال التجهيز الهندسى لمسرح العمليات حتى لحظة بدء التمهيد النيرانى الساعة ١٤٠٥ . وكانت تعمل فى هذه التجهيزات العديد من الشركات القائمة ببناء قواعد مرتفعة للسيطرة بالنيران على الضفة الشرقية من الضفة الغربية . ولذلك خدعت القيادة الاسرائيلية وظنت أن التحركات العسكرية والحشود التى تمت فى منطقة القناة ما هى الا مناورات الخريف .

(هـ) وفى النهاية يمكن القول بأن المفاجأة تؤمن أقصى نجاح ممكن بأقل استهلاك للقوى والوسائل والوقت . وعلى الرغم من التطور التكنولوجى العظيم الذى قد يوحى باستحالة تحقيق المفاجأة الا أن مصر حققتها فى حرب اكتوبر بفضل التخطيط الجيد والايمان بالله وبالوطن وبالنفس . وأن تحقيق مصر للمفاجأة لم يكن من قبيل

الصدفة لأن ذلك مستحيل علميا . فتحقيق المفاجأة يتطلب عقلية نابهة وعلما غزيرا وعملا كبيرا وهو ما حققته القوات المسلحةالمصرية في حرب رمضان .

لتحقيق المفاجأة توجد أساليب عديدة لا يمكن أ نتوضع لهـا انماط ثابتة . ولكن من أهم أساليب تحقيقها استخدام أسلحة جديدة أو استخدام سلاح متيسر معروف ولكن بكفاءة عالية لم يتوقعها العدو . ولقد كانت كفاءة المدفعية المصرية وقوتها مفاجأة للعدو ، كما وأن نجاح رجل المدفعية في استخدام الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات (المالوتكا) كان مذهلا للعدو وجعل دباباته حطاما .

واليك منشور اذاعه قائد أحد الفرق المشاة المصرية علىرجاله يحثهم على القتال ومتابعة النجاح ويمجد فيه أبطال حرب اكتوبر من رجال المدفعية ـ رجال الفهد ـ يقول فيه : ـ



بطل حرب اكتوبر ـ الصاروخ الموجه المضاد للدبابات الذى يحمله جندي المدفعية على ظهره

الباب الرابع

القتال

اقتحام قناة السويس

فى الخامس من اكتوبر استدعى قائد الجيش الثانى اللواء/محمد سعد الدين مأمون القادة ليبلغهم عن سعت س وهى الساعة التى يبدأ عندها اقتحام القوات الرئيسية للقناة . أو بتعبير ادق هى لحظة ابحار الموجة الأولى من القوات الرئيسية من الشاطىء القريب للقناة . وكانت تعليماته تنص على أن يبدأ تبليغ قادة اللواءات بها فى الساعة التاسعة من صباح ٦ اكتوبر حيث يبدأ تسلسل وصول التوقيت الى القادة على التوالى فى سرية تامة الى ان يبلغ الجنود الساعة ١٢٠٠ وليس قبل ذلك . وتم تنفيذ تعليمات القائد بكل دقة .

وعندما اشارت عقارب الساعة الى الواحدة ظهرا (الساعة ١٣٠٠) كانت مراكز القيادة على مختلف المستويات قد اتخذت اماكنها فى سرية تامة ، ولم يلحظ العدو الاسرائيلى أى تغيير فى أوضاع القوات ، بل كانت هناك جماعات كسل من الجنود تجلس فى استرخاء على حافة القناة يتناولون بعض المرطبات وقد تدلت ارجلهم فى مياه القناة وليس معهم حتى سـلاحهم الشخصى أو خوذاتهم . هذا فى الوقت الذى كانت فيه مراكز ملاحظات المدفعية ترصد كل سكنة فى قطاع مسئولياتها . وتم فى الفترة من الساعة ١٣٠٠ وحتى الساعة ١٤٠٠ تأكيد أهداف المدفعية . وبدأت فى الساعة ١٤٠٠ تصل أولى البلاغات عن استعداد القوات وكان أول بلاغ هو بلاغ قائد مدفعية الجيش الثانى الى قائد الجيش الثانى :

النيل (اسم رمزى لمدفعية الجيش الثانى) حاضر لتنفيذ مامون (الاسم الرمزى لاول قصفة فى التمهيد النيرانى) . ووصل امر قائد الجيش : « كل شىء فى ميعاده » .

كانت عقارب الساعة تشير الى الثانية واربع دقائق من بعد ظهر السادس من اكتوبر عندما مرقت فوق القناة الطائرات المصرية متجهة الى اهدافها . وفى الثانية وخمس دقائق اصدر قائد المدفعية امره : « النيل اضرب » فانطلقت آلاف المدافع تهدر وتصب حممها على النقط الحصينة لخط بارليف واماكن تمركز احتياطيات العدو

وبينما استمر اكثر من الفى مدفع ميدان ومتوسط وثقيل وصواريخ وهاونات تصب حممها على خط بارليف ونقطة الحصينة وغير ذلك من الأهداف بدقة وكثافة وقوة لم يسبق لها مثيل راح عدد كبير من المدافع يطلق نيرانه بالرمى المباشر على مزاغل الدشم ونقط النيران المكتشفة ويفتح الثغرات فى مواقع الأسلاك الشائكة والالغام .

ومع بداية التمهيد النيرانى وتحت ستر هذه النيران الفعالة القاتلة اندفعت مفارز من القوات تعبر القناة لتستولى على مصاطب الدبابات الموجودة فى العمق القريب وتبث الألغام والشراك فى المصاطب الأخرى وتنصب الكمائن على طرق اقتراب احتياطيات العدو المحلية لتمنعها من التدخل فى اقتحام القناة بواسطة القوات الرئيسية التى ستتم بعد دقائق .

وكان التمهيد النيرانى للمدفعية المصرية من القوة لدرجة ان معظم بطاريات مدفعية العدو (اكثر من ٩٠ ٪ منها) اسكتت منذ اللحظات الاولى ولم تتمكن من انتاج اى نيران مؤثرة على قواتنا ، فكان ذلك اول بادرة للنصر الذى حققه جيش مصر الباسل .

ويكفى للدلالة على قوة هذه النيران أن تعلم ما يأتى :

x كانت كثافة النيران ١٧٥ طلقة/ثانية .

x كان عدد الطلقات التى ضربت فى التمهيد النيرانى ١٠٠٠٠٠ طلقـة .

x كان وزن الدانات التى أطلقت فى التمهيـد النيرانى ٣ مليون كجم .

x كان عـدد الطلقـات التى أطلقت فى الدقيقـة الأولى من المدفعية ١٠٥٠٠ طلقة .

ان كتاب نظـرة على حرب الشرق الأوسط يصف مشـاعر وبلاغات احدى نقط مراقبة العدو خلال التمهيد النيرانى فيقول على لسان جندى اسرائيلى جاء به حظه العاثر الى الجبهة المصرية :

« المصريون ينزلون قواربهم تحتنـا مبـاشرة .. انهم يعبرون الآن .. مملوءة بالكثير من الجنود .. ينزلون ومعهم مقـذوفات موجهـة مضـادة للدبابات .. بعض الدبابات الفـردية تهـاجم المصريين .. قوات مدرعة تعبر .. كثـير منهم يقفـزون الى الشاطىء ويتقدمون للأمام ومعهم الصواريخ المضـادة للدبابات .. ست هيلكوبترات بهـا كوماندوز مصريون تمر فوقى .. دبابة ت ٥٤ فى مواجهتى .. انها تطلق النيران علينا .. قوارب كثيرة اخرى تعبر .. موجة خلف موجة .. انهم ينتشرون فى منطقتنا يحاولون تطويقها .. انهم يغرسون علما .. المصريون ينصبون كوبرى .. العربات تسقط البراطيم .. قوافل ضخمة .. كثير من المدرعات .. دبابات ، لورى ، مدفعية صاروخية ، ارتال من عربات الجيب والمدافع .

ان المراقبين الأماميين يشتكون : لماذا لم تعمل القـوات الجوية الاسرائيلية ؟ ..

بطارية هاون تقـوم بتقدير المسافة واصبحت سـاحة النقطة

القوية مغطاة بالشظايا كوجه ملىء بآثار الجـــدرى . ان ضربة المدفعية على النقط القوية سيحولها الى حطام ..

لقد كان العدو فى ذهول .. ماذا حدث وماذا يجرى بعـــد مضى هذه الفترة الطويلة على ايقاف النيران .. هل جن المصريون ليعبروا القناة ليواجهوا جيش الدفاع الاسرائيلى الذى أقنعـه قادته زيفا بأنه جيش لا يقهر ؟

ولشدة ما كانت الفرحة تعلو وجوه كل جندى مصرى وهـو يعبر القناة ويتسلق الساتر الترابى فى سرعة وسهولة كأنه شيطان او مارد .

ويصف كتاب عيد الغفران مشاعر جندى اسرائيلى آخر اذهلتـه المفاجأة فيقول :

« كان موردخاى جالسا فوق برج المراقبة فى هدوء فى مواجهة كوبرى الفردان عندما دوى انفجار يصم الآذان أخذ يزداد تضخما حمله على أن ينبطح على الأرض . كان تشكيل كبير من الطائرات النفاثة المصرية تطير على ارتفـــاع منخفض وتكاد تلمس الأرض الرملية .

ويندفع الى يساره ولم تمض سوى بضع ثوان الا وشـهدت عيناه مياه قناة السويس قد غطيت فجـأة بعشرات القـــوارب وبداخلها رجال راحوا يجدفون بكل قوتهم ويعبرون بها المـــانع المائى من الغرب الى الشرق . فغمغم قائلا : غير معقول أن المصريين يعبرون القناة . وبضربة واحدة ترنح برج المراقبة الطويل وتمايل وظل معلقا على ثلاثة من سيقانه وفقـد مردخاى توازنه ، وتعلق بكل ثقله فى السياج المعدنى الذى تولى منه حطام النظارة المكبرة التى كان يستخدمها . وفى رعبه أخذ يتطلع تحتـه ليرى عشرات الجنود المصريين وقد أصبحوا فـوق الساتر الترابى وأخـــذوا يندفعون فى كل اتجاه .

ولم يفهم مردخاى السبب في ان الفيلم الذى يدور حوله فيلم صامت انه لم يدرك الا فيما بعد عندما هبط من البرج . لقد اصبح اضما نتيجة قذيفة المدفع المضاد للدبابات التى انطلقت من الضفة الغربية فأصابت البرج .

معارك مصاطب الدبابات :

انشأ العدو عددا كبيرا من السواتر الترابية اطلقنا عليها مصاطب الدبابات طول كل منها يتراوح بين ١٥٠ ، ٢٠٠ متر وبارتفاع وصل الى عشرة امتار وميل تدريجى وصل من ١ الى ١٠ ، وذلك على أعماق مختلفة على جميع المحاور المحتمل أن تعمل عليها قواتنا . وكانت هذه المصاطب تعتبر خطا دفاعيا ثانيا تستند عليه دباباته التى يدفعها من العمق لتركبها وتسيطر بنيرانها على الأرض المحيطة وبذلك يمكنها أن تقضى على أى قوات مصرية تنجح فى التغلب على المانع المائى والساتر الترابى المنشأ على شاطئه .

والسيطرة على هذه المصاطب وحرمان العدو من استخدامها دفعت مجموعات اقتناص دبابات مسلحة بالقواذف الصاروخية ر . ب . ج . والمقذوفات الموجهة المضادة للدبابات التى يحملها جنود من المدفعية على الظهر والغام مضادة للدبابات وقنابل مضادة للدبابات ، وكانت مهمة هذه المجموعات اقتحام القناة مع بداية التمهيد النيرانى والوصول الى السواتر واحتلالها وصد أى هجمات مضادة لاحتياطيات العدو .

وبعد حوالى ١ ــ ١٫٥ ساعة دفع العدو باحتياطياته المحلية لمقابلة الهجوم المصرى وكان يعتقد انه سينجح فى تدمير الهجوم المصرى ورده على أعقابه ، وهنا حدثت المفاجأة فلقد واجهته مجموعات اقتناص الدبابات قدمرت معظم هذه الاحتياطيات وان تمكنت بعض الدبابات الفردية من الاختراق والوصول الى

الشاطىء ولكن سرعان ما تمكنت قوات العبـــور الرئيسية من تدميرها وبذلك فشل الهجوم المضاد المحلى نتيجة معارك مجموعات اقتناص الدبابات كلها بطولة وفداء وتعاون .

« ما كادت كتيبة بارخ تتلقى الأمر بالتحرك للهجوم المضـاد حتى انتفضت للتحرك . وكان أكثر الأشياء التى اهتم بهـا هى التزود بكميات كبيرة من الشطائر والملابس الداخلية وما يمكن أن يقرأ قطعا للوقت فلقد كان يشعر انه منطلق فى جولة ونزهة .. الا أن باروخ وزملاءه سرعان ما تبينوا أن الأمر ليس كذلك . لقد انطلقوا بدباباتهم بكل سرعة وأصبحوا الآن تحت نيران المصريين .

ان المشكلة التى تعلموا مواجهتها هى المدفع المضاد للدبابات بعدها يلتفتوا الى المشاة . ولكنهـم شاهدوا كرات من النـــار تتراقص فى الهواء وتندفع نحوهم .وادركوا فيما بعد ان هذه هى الصواريخ المضادة للدبابات .

(من كتاب كيبور)

» وعند محور الاسماعيلية كانت عدة وحـــدات اسرائيلية مدرعة مشتبكة فى قتال يائس مع القوات المصرية . وكان اسحق وهو شاب اسرائيلى غررت به أحلام اسرائيل ضمن تلك القـوة وكان داخل دباباته مع قائد الفصـيلة عنـدما تلقى اللواء الأمر بالهجوم المضاد . ويقول اسحق :

لم أكن اعرف على بعد كم كيلومتر من القناة كنا نسير عندما أصيبت دباباتنا وكان علينا أن نتصل مع احد مواقعنا الحصينة فى خط بارليف . الا اننى لم أستطع اطلاق أول طلقـة من مدفعى فلقـد أصيب برج الدبابة وأصيب قائد الفصـيلة ولقـد رايتـه يلقى بنفسه خارج الدبابة . كانت ساق الضابط قد تحطمت تحت الركبة اخلينا الدبابة قبل أن تنفجر وابتعدنا عنها . وكان الليـل

ما حولنا . وفجأة ظهرت احدى دباباتنا وهى تجرى متراجعة الى الوراء ، واذا بها تصاب بصاروخ مصرى وتنفجر . فقلت للملازم ها هى واحدة أخرى تتحطم . لقد هلكنا .

(من كتاب كيبور)

المدفعية المصرية تصد الضربات المضادة :

فى أقل من ست ساعات وعلى وجه التحديد حوالى الساعة ١٩٣٠ كانت القوات المصرية قد استولت على أكثر من نصف نقط العدو الحصينة وعزلت الباقى منها ، وبدأت القوات فى تصفيتها واستعدت لتطوير الهجوم فى العمق . وكان الموقف على الجانب الآخر كما وصفه بنحاس سابير وزير المالية بعد ذلك مرعبا : « لم تكن هناك سوى خطوة واحدة باقية ثم تباد اسرائيل تماما » . وبدأ اليأس يدب فى نفوس القادة الاسرائيليين حتى ان ديان اقترح اخلاء جميع القطاعات الحصينة فى خط القناة وأن يوقفوا معارك الدبابات وأن يقيموا خطا جديدا بالقرب من الممرات على مسافة ٣٠ كم شرق القناة .

وقبل ان يبزغ فجر اليوم التالى كانت القوات المصرية قد وصلت الى عمق ٥ ــ ٦ كيلومترات وتم عبور أعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والأسلحة الثقيلة . وخلال السابع من اكتوبر بدأت قواتنا فى تطوير هجومها شرقا ووصلت الى عمق من ٨ الى ١٠ كم حيث بدأت تستعد لصد الهجمات المضادة للعدو الاسرائيلى المتوقعة . وكان للمدفعية المصرية فضل كبير فى تحطيم كل الهجمات المضادة التى تمت فى الثامن من أكتوبر ١٩٧٣ (اليوم الثالث للقتال) .

وفى فجر الثامن من اكتوبر ابلغ احد مراكز ملاحظة المدفعية الذى تم دفعه فى العمق ليلة ٦ ــ ٧ أكتوبر عن وجود لواء مشاة ميكانيكى للعدو مدعما بعدد كبير من الدبابات متجمعا على الطريق

الاوسط وبعيد المدى . وبسرعة تم تقدير الموقف واتضح انه فى مرمى حوالى ٢٠ كتيبة مدفعية . واقترح قائد مدفعية الجيش الثانى على اللواء محمد سعد الدين مأمون أن يتم ضرب حشد نيران هذا اللواء قبل أن ينتهى من اجراءات اعادة الملء ، فصدق سيادته على ذلك . وتم تأكيد احداثيات مكان للواء . وتم تنفيذ قصف نيران مدتها ١٠ دقائق بعشرين كتيبة مدفعية على هـذا اللواء . وكم كانت سعادة الجميع عندما وصل البلاغ من مجموعة مؤخرة كانت قد دفعتها قيادة الجيش الثانى فى العمق تؤكد أن النيران كانت مؤثرة وأن الحرائق تشتعل فى كل مكان وأن هـذا اللواء تعرض لخسائر جسيمة جعلته غير قادر على دخول المعركة لفترة طويلة وأن الكثيرين منـه قد فروا من الجحيم . وأكدت عناصر الاستطلاع اللاسلكى هذا البلاغ عندما التقطت استغاثات قائد اللواء وبلاغاته عن خسائره الجسيمة .

وفى قطاع الفرقة ١٨ مشاة قامت مدفعية الجيش الثـانى بحشد نيران عشرة كتائب مدفعية على لواء مدرع حاول التقدم من بالوظة فى اتجاه القنيطرة لتوجيه ضربة مضادة ضد قـوات الفرقة ١٨ . وكان هذا الحشد اسمه (تل أبيب) اشتركت فيـه مدفعية الفرقة ١٨ مشاة وجزء من مجموعات مدفعية الجيش الثانى وكانت نيران الحشد مؤثرة وناجحة ارتد على أثرها اللواء المعادى مذعورا دون أن يوجه هجمته المضادة ، وكان ذلك نجاح باهر لنيران المدفعية شهد به قائد الفرقة ١٨ مشاة وكل رجالها الأبطال . وكم كانت سعادتى عندما اتصل بين أحد قادة مدفعيات الألوية ليبلغنى أن قائد اللواء يثنى على رجال المدفعية الذين منعوا دبابات العدو من الوصول الى الحد الأمامى لقواته ، وانه زاد اقتناعا بأن نيران المدفعيـة تدمر ما يزيد عن ٣٠ ٪ من دبابات العدو ، وهو المعدل العالمى المعروف .

أما رجال الفهد أبطال حرب أكتوبر فالحديث عنهم يحتـاج

لكتاب خاص . رجال ضربوا المثل فى البطولة والتضحية . ولقد سمعنا الكثير عن صائدى الدبابات ، وكمثال فقط أنشر ما كتبته جريدة الأخبار المصرية عن عبد العاطى صائد الدبابات فى عددها الصادر يوم ؟

وفى التاسع من اكتوبر كان موقف القوات المسلحة على جبهة القناة سيناء ، فلقد نجحت القوات المصرية فى توسيع رؤوس الكبارى الى عمق كبير وصل الى ١٥ كم ، وفشلت الهجمات والضربات المضادة التى شنتها المدرعات الاسرائيلية بحشود كبيرة ووقع فى الأسر الكولونيل عساف ياجورى الذى قام بلوائه (اللواء ١٩٠ المدرع) بتوجيه ضربة مضادة فى اتجاه الفردان . ويتضح من حديث موشى ديان يوم ٩ أكتوبر (فى مؤتمر صحفى) أمام مجموعة من المحررين ورؤساء تحرير الصحف الاسرائيلية الموقف الاسرائيلى على الجبهة المصرية . واليكم مقتطفات من هذا الحديث :

« ان الشيء الوحيد الذى نتفوق فيه هو الطيران .. لقد اخليت كافة التحصينات على طول القناة ، وتم ذلك بنظام فى بعض الأحيان وفى أحيان أخرى فى انتظام أقل . فلم يعد لها فائدة بالنسبة لنا . اننا لا نستطيع فى الوقت الراهن صد المصريين من الجانب الآخر . ولعل لهذه الحقيقة مدلولات كثيرة منها دلالتان واضحتان : أولا لقد أدرك العالم كله الآن أننا لسنا بأكثر قوة من المصريين ، وأن الهالة التى تتوجنا اذا هاجم العرب فان الاسرائيليين سيحطمونهم ــ قد سقطت أما الدلالة الثانية فهى انه اذا تعلو علينا دفع المصريين فانهم سيواصلون حشد القوات ، واننى أخشى اذا ما تحولوا الى الهجوم ان نضطر لأن نقف على خطوط أخرى . اننى لا استطيع أن أضمن ما سوف يحدث ، ومن المحتمل أن نفكر فى الانسحاب الى خطوط اقل تبعثرا وأكثر امنا وتضم عقبات طبوغرافية تمكننا من تنظيم خطة دفاعية أفضل . اننى

اقصـــد بذلك خطـا يمتـد من ممر متـلا الى قنـــاة السويس يغلق الطـريق نحــو الجنـوب من ناحيـــة شرم الشـيخ وذلك كى نتفادى فتح ابو رديس امام الغزو المصرى .. اننـا ندفع كل يوم الضريبة فى صورة معدات وقوات وطيارين وطائرات ودبابات . لقد دمرت المئات من مدرعاتنا فى المعركة .. لا أعرف كيف ستنتهى هذه الحرب .. ان ما يعنينا هو مستقبل دولة اسرائيل . لتذهب الى الشيطان البحيرات المرة او ما سواها . اننا فى حاجة للمدرعات والطائرات القادرة على حمـاية أمن بلادنا . ورغم كل شىء فان القوات تتآكل واننى آمل أن يرسل لنا الأمريكيون الطائرات . لقد وافقـوا أن يزودونا بطائرات فانتـــوم جديدة وآمل أن يزودنا بالمدرعات كذلك » .

ويتساءل ديزانتيشيك (معاريف) قائلا : لقد استخلصت من خلال عرضك انه منذ عصر بن جوريون كنا نصرح دائما بأننا قادرون على مواجهة الجيوش العربية مجتمعة اذا ما شئت هجوما علينا ، ولكن هذا الراى لم يعد صالحا الآن .

ويسأل صحفى آخر : هل تستطيع يا سيدى الوزير ان تشرح لنا كيف اننا انتصرنا على السوريين رغم غياب المواقع الطبوغرافية بينما نواجه مع وجود مانع قوى مثل القناة مشكلات على الجبهة الجنوبية ؟

ديان : « فى الواقع كانت هناك أمور غير متوقعة . فلم نستطع ان نمنع بناء الجسور على القناة . وكان اعتقادى انه اذا ما نجح المصريون فى بناء جسورهم ليلا فان فى وسع مدرعاتنا أن تدمرها . ولكنه اتضح أن معداتهم الجديدة ــ وبصفة خاصـة صواريخهم فعالة جدا ، فلقد دمرت لنا الكثير من المدرعات بهذا السلاح . ان محاولة الاقتراب من القناة وتدمير الجسور كانت أمرا بالغ الصعوبة وكلفنا الكثير . لقد سارت الأمور على خلاف ما كنا نتوقع » .

وتأتى اقوال العقيد عساف ياجورى الذى وقع فى الأسر يوم ٩ اكتوبر بعد ان تم تدمير لوائه (اللواء ١٩٠ مدرع) بواسطة قوات الفرقة الثانية المشاة المصرية بالتعاون مع احتياطى المدفعية المضادة للدبابات للجيش الثانى الميدانى لتوضيح مدى نجاح المدفعية فى تكبيده خسائر جسيمة فى قواته قبل دخوله المعركة . فلقد جاء فى أقواله أن قواته تعرضت طوال تقدمها من بالوظة وحتى قيامه بالهجوم المضاد فى قطاع الفردان لقصف مؤثر من المدفعية المصرية ادى الى تدمير أكثر من ٧٠ ٪ من مشاته الميكانيكية ، وانه تصور ان دقة النيران وتأثيرها الشديد لا يمكن أن تكون كذلك الا اذا كان هناك ضابط مدفعية مصرى يقف على برج دبابته (أى دبابة عساف ياجورى) يصحح نيرانها على قواته . ان عساف ياجورى لم يكن يتصور ان ضباطا من المدفعية دفعوا فى العمق لهذا الغرض — لتصحيح النيران على احتياطيات العدو المتقدمة ، فمن واجب المدفعية ان تسكت هذه الاحتياطيات وتدمرها على طرق اقترابها البعيدة وفى مناطق تجمعها واثناء فتحها واثناء هجومها ، وهو ما حققته المدفعية المصرية .

عن مدفعية الفرقة ١٦ مشاة :

بعد ان اتمت قوات النسق الأول للجيش الثانى والثالث تنفيذ المهمة المباشرة بنجاح وبدات فى تعزيز رؤوس الشواطىء المحددة لها طبقا للخطة بدات تتعرض لهجمات مضادة متعددة المدرعات العدو الاسرائيلى ركزها على اجناب رؤوس الكبارى محاولا تطويقها والوصول الى المعابر لتدميرها ومنع تدفق القوات المصرية الى الشرق وعزلها عن اقسامها الثانية فى الغرب . وكانت الفرقة ١٦ مشاة اكثر الفرق تعرضا للهجمات والضربات المضادة التى وجهها العدو بلواءات مدرعة الواحد تلو الآخر . ولكن قوات الفرقة من مشاة مدرعات ومدفعية وبفضل المعاونة الفعالة لمجموعات مدفعية الجيش الثانى واحتياطياته المضادة للدبابات تمكنت من

صد وتدمير كل هذه الهجمات والضربات المضـادة ويمكن لكل من يريد رؤية آثار الخسائر الجسيمة التى يتكبدها العدو الاسرائيلى فى مواجهة قطاع هذه الفرقة أن يذهب فى زيارة الى راس كبرى هذه الفرقة ليجد عشرات بل مئات الدبابات المدمرة المحترقة والتى لم تنقل من محلاتها حتى الآن والكثير منها لم يبق الا أجزاء أو اشلاء ممزقة لتشهد على بطولة الانسان المصرى دفاعا عن حقه وأرضه واوطانه .

ولقد لعبت المدفعية فى معـركة الفرقة ١٦ مشاة ـ تماما كما هو الحال على كل المواجهـة ـ دورا كبيرا فى نجـاح صـد هذه الهجمات والضربات المضـادة . ويكفى أن نقول ان ادارة نيران المدفعية كانت على مستوى عال من الكفاءة الأمر الذى أمكن معه حشد نيران عـدد كبير من كتائب المدفعية وصل فى بعض الحالات الى ١٧ كتيبة على هجمة مضادة واحدة للواء مدرع اسرائيلى كان من نتيجتها أن دمرت لهذا اللواء حوالى ٣٢ دبابة وارتد اللواء مذعورا دون أن ينفذ هجمته المضادة ، وتلقفت الصواريخ المضادة الدبابات العدو الذى تابع تقـدمه من الدبابات فدمرتها ، وحدث أن نجحت أربع دبابات من هذا اللواء فى الوصول الى تبة الطالية حيث دمرها رجال المشاة بالقواذف ربج . لقد ظهر فى صد هذا الهجـوم التعـاون الوثيق الممتاز بين المدفعيـة والمشـاة فكانت سيمفونية رائعة لم تشهد الحروب لها مثيلا .

يصف أحـد الجنود الاسرائيليين فيما بعد ما فعلته به وبوحدته المدفعية المصرية فيقول :

« لقد تعرضنا لستار من نيران المدفعية لا يمكن وصفه ، فلقد انصبت من كل جانب الصواريخ ونيران الدبابات وقذائف المدفعية الثقيلة . وقد تمكنا من شق طريق لنا ، ولكن المعركة استمرت عدة ساعات اذ وقعنا مرة ثانية تحت ستار من نيران المدفعية وقد اخترق كل شيء حولى ، وكان عدد من الرجال يصرخون وغيرهم يقفزون من دباباتهم » . (كتاب كيبور) وفى مواقع كثيرة من كتاب حرب كيبور وكتاب نظرة على حرب الشرق الأوسط يصف المؤلفون بعض لمحات الهجمات المضادة الاسرائيلية فيقولون :

« ان المصريين قد نجحوا فى كسر الهجوم الاسرائيلى المضاد . ولقد ادركت القيادة الاسرائيلية أن الهجمات المضادة لا يمكن أن تعجل بتدمير وحدات التعزيز » .

« للمرة الأولى أخذت الدبابات الاسرائيليـــة تحارب وهى تنسحب وللمرة الأولى كذلك تعطلت هذه الدبابات فى أرض العدو وفى داخلها قتلى وجرحى دون أن يستطيع أحد تخليصهم منها . لقد قتل أو أسر عدد كبير من أطقم الدبابات التى تم تدميرها » .

من سجلات الحوادث :

بعض الأعمال القتالية خـلال الفترة من ٦ اكتوبر حتى ٢٤ اكتوبر ١٩٧٣

١ - يوم ٦ اكتوبر

× التمهيد النيرانى

- بدأ التمهيد النيرانى الساعة ١٤٠٥ على الأهداف المخططة بعد تعديلها طبقا لنشاط العدو صباح اليوم . ولقد تأكد تدمير البطارية المعادية رقم ٢٩٢ وشوهدت حرائق وانفجارات فى منطقة الهدف .

- أجرت مراكز الملاحظة انتقالاتها الى منطقة راس الكوبرى شرق

القنـــاة باستخدام القــوارب المطاط مع المــوجات الأولى للعبور .

الساعة ١٦١٠ ـ تم تدمير بطارية معادية ملا الاحداثى (.....) وصدت بواسطة الصوت .

الساعة ١٦٢٠ ـ رصدت تجمعات دبابات فى منطقة النقطـة القوية فى تل سلام وتم التعامل معها بكتيبتين من اللواء وتم تدمير ٤ دبابات .

من الساعة ٢٠٢٠ وحتى الساعة ٢٣٥٩ :

ـ اشترك اللواء بكامل وحداته فى ايقاف هجوم مضـاد لكتيبة دبابات على محور الطريق الأوسط جنوب كتب عيفان وتم ايقاف الهجوم ، واجمالى خسائر العدو ٢٦ دبابة .

ـ اشترك اللواء بعدد ٢ كتيبة فى ايقاف هجوم مضاد بحـوالى كتيبة دبابات للعدو على يمين ويسار الفرقة ١٦ مشاة من منطقة شمال الطالية ومنطقة شمال شرق قرية الجلاء وتم ايقاف الدبابات .

ـ تم اسكات ٢ بطارية معادية .

ـ اضاءت المجموعة أرض المعركة لمدة ١٠ دقائق لاكتشاف تحرك لواء مدرع معادى .

٢ ـ يوم ٧ اكتوبر :

ـ تم اسكات ٧ بطاريات معادية معظمها بعيد المدى .

ـ تم اسكات ٣ بطاريات معادية استعادت نشاطها .

ـ صد الهجمات المضادة لبقايا كتائب العدو المدرعة الســاعة ١١٠٠ ، ١٤٢٥ ، ١٧٤٠ .

ـ الساعة ١٥٢٠ تعرضت مرابض نيران احدى الكتائب لقصف جوى باستخدام النابالم ولم تحدث خسائر .

٣ – يوم ٨ اكتوبر :

– تم اسكات ١٣ بطارية معادية .

– صد الهجمات المضادة لدبابات العدو بواسطة لواء مدرع ضد راس كوبرى الفرقة الثانية المشاة والفرقة ١٦ مشاه كالآتى :

× الساعة ٨٠٠ لواء مدرع معادى على الطريق الأوسط شرق ابو وقفه

× الساعة ٨١٠ دبابات ومشاة ميكانيكية شمال الطريق الأوسط غرب كيثيب عيفان .

× الساعة ٩٥٠ اسكات ٢ سرية دبابات فى منطقة الشجرة امام راس كبرى الفرقة الثانية .

– تم عبور احدى كتائب اللواء الى راس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة كما انتقلت سرية الصوت الى منطقة الطالية .

٤ – يوم ٩ اكتوبر :

– تم اسكات ٨ بطاريات معادية .

– صد الهجمات المضادة لدبابات العدو على رؤوس الكبارى وعددها ٧ هجمات مضادة أمكن تكبيد العدو فيها خسائر جسيمة فى الدبابات والعربات المدرعة .

٥ – يوم ١٠ اكتوبر :

– اسكات ٦ بطاريات معادية حددت بواسطة الصوت اللاسلكى وبعضها تم اسكاته اكثر من مرة ولقد تأكد تدمير ثلاث بطاريات منها .

– صد خمسة هجمات مضادة لدبابات العدو ضد كل من رؤوس كبارى الفرقة ١٦ مشاة والفرقة الثانية المشاة .

٦ – يوم ١١ اكتوبر :

– تم اسكات ٤ بطاريات معادية للعدو وتأكد تدمير واحدة منها.

– صد خمس هجمات مضادة للعدو (الساعة ١٢٠٠ ، ١٤٢٠، ١٤٣٠ ، ١٤٤٠ ، ١٧٢٥) ضد رؤوس الكبارى تم فيها تدمير عدد من الدبابات .

٧ – يوم ١٢ اكتوبر :

– تم اسكان عدد ٧ بطاريات مدفعية للعدو جميعها بعيدة المدى.

– نفذت خطة ازعاج لمواقع مدفعية العدو المحتملة .

٨ – يومى ١٣ اكتوبر ، ١٤ اكتوبر :

بدأت مهمة التطوير شرقا بدفع مفارز مدرعة فى اتجاه الطاسة وقامت المجموعة (اى اللواء) بتأمين دفع هذه المفارز بتنفيذ ما يلى:

– تم تنفيذ جميع الخطوات المخطط لها ليلة ١٣/١٢ اكتوبر .

– فى الساعة ٥٤٥ . يوم ١٤ اكتوبر بدأ تنفيذ قصفة النيران لتأمين الدفع .

– تم خلال القتال يوم ١٤ اكتوبر تسكات ١١ بطارية معادية .

– اشتركت المجموعة فى تأمين اعمال المفارز المدرعة بضرب تجمعات وحشود نيران وعمل ستائر دخان ناجحة ضد قوات العدو فى مواجهة الهجوم .

– اشتركت المجموعة فى ستر ارتداد المفارز المدرعة الى راس الكوبرى .

معركة الدبابات الكبرى

وركزت اسرائيل جهودها الرئيسية فى المرحلة الأولى من الحرب كاسبقية اولى ضد الجبهة الاسرائيلية للأسباب التالية :

(أ) ان استرداد السوريين لمرتفعات الجولان ينقل المعركة الى قلب اسرائيل ويهدد الكثير من المستعمرات الاسرائيلية بالدمار .

(ب) لا يوجد مانع مائى يمكن الاعتماد عليه كما هو الحال على الجبهة المصرية كما ان اسرائيل كانت تعول كثيرا على حصانة خط بارليف وظنت أن اقتحامه أمر يستحيل حدوثه ، وأن القوات المصرية ستقف عاجزة أمام القناة وخط بارليف .

(جـ) حتى بفرض نجاح القوات المسلحة المصرية فى اقتحام القناة فان ذلك ـ كما ظنت القيادة العليا الاسرائيلية ـ سيتطلب وقتا طويلا تكون القوات الاسرائيلية قد انتهت فيه من الجبهة السورية وتفرغت للجبهة المصرية .

(د) الاستفادة من كل عمق سيناء اذ أمام المصريين بعد القناة وخط بارليف أن يستولوا على المضايق وهو أمر يحتاج امداد طويلا ، وعليه فقد تكون اسرائيل قد توقعت احتمال وجود وقفة تعبوية تقفها القوات المسلحة المصرية الى أن تستعد لاقتحام المضايق .

(هـ) يمكن للقوات المسلحة الاسرائيلية أن تقوم بقتال تعطيلى قوى ضد القوات المصرية الى أن تنتهى من الجبهة الشمالية بالجولان ثم تنتقل نقلها الى الجنوب لتنهى الحرب .

(و) ان جدار الدفاع الجوى المصرى لا يغطى سوى عمق بسيط نسبيا شرق القناة ، والاسرائيليون يعرفون ذلك ، وعليه فقد يكون فى تقدير موقفهم أن القوات المسلحة المصرية ستتوقف لبضعة أيام حتى تنقل قواعد الصواريخ شرق القناة لتعطى الوقاية للقوات أثناء تطوير الهجوم شرقا .

لقد جاء فى كتاب كيبور فى الفصل الحادى عشر تحت عنوان وثيقة بالغة السرية ما يلى على لسان موشى ديان :

« لدينا جبهتين : الجبهة المصرية والجبهة السورية اننا نريد

تحييد الجبهة السورية ، فهذا أمر له وجهة نظرى الأفضلية الأولى. فمن جهة لانها ملاصقة لبلادنا تماما . لقد نجحنا فى ايقاف الهجمات السورية فلو نجحت القوات السورية فى أن تتمركز على جبال الجولان فانه سيكون فى ميسورها قصف سهل الحولة بأكملها داخل اراضينا. أما مع المصريين فان المشكلة مختلفة ، انها بطبيعة الحال مشكلة كبيرة ولكنها لن تعرض اسرائيل وشعبنا للهلاك فى المدى القريب » .

وقد تكون هذه الأسباب أو غيرها هى التى دارت فى رؤوس القادة الاسرائيليين والتى حدت بهم الى اتخاذ مثل هذا القرار . وليس معنى تركيزاسرائيل لجهودها ضد الجبهة السورية اهمال الجبهة المصرية وانما المقصود هو خلق توازن ضد القوات المصرية وخلق تفوق ضد القوات السورية وذلك من وجهة النظر الاسرائيلية . فالواقع أن حجم القوات الاسرائيلية التى واجهت القوات المسلحة المصرية منذ اللحظة الاولى يزيد كثيرا عن نصف القوات المسلحة الاسرائيلية . وكل ما قصدته هنا هو التنبيه بخطورة وجود جبهتين على اسرائيل وان ذلك كان سببا فى توزيع جهودها وكان عاملا من عوامل النصر فى حرب اكتوبر . فناهيك لو كانت أكثر من جبهتين ؟

عندما قدرت القيادة المصرية الموقف واتضح لها نية القيادة الاسرائيلية وبغرض التخفيف عن الجبهة السورية قررت تطوير الهجوم شرقا بدفع مفارز من القوات المدرعة والميكانيكية للسيطرة على المداخل الغربية للمضايق وتدمير القوات المدرعة الاسرائيلية فى معارك تصادمية ناجحة والاستيلاء على الطريق العرضى الذى يقع على عمق ٣٠ كم شرق القناة . وبذلك يتحتم على العدو أن ينسحب شرقيا الى خلف خط المضايق ويحاول أن ينظم دفاعاته بها ليمنع القوات المسلحة المصرية من اقتحامها ، وعند ذاك يبدأ تنظيم معركة المضايق وفقا للخطة الموضوعة .

وفى الحادى عشر من اكتوبر كان معدل الهجوم السورى قد بدأ ينخفض نتيجة شدة المقاومة من جانب العدو ، وكان واضحا أن أنسب توقيت للقيام بهذه العملية على الجبهة المصرية فى يوم ١٣ او ١٤ اكتوبر . واتخذ القرار وبدأت عملية تطوير الهجوم شرقا فى الساعة ٦٣٠ . من صباح ١٤ اكتوبر ١٩٧٣ فى أربع اتجاهات رئيسية :

— بقوة لواء مدرع فى اتجاه بالوظة رمانة .
— وبقوة فرقة مدرعة فى اتجاه الطاسة (على المحور الأوسط)
— وبقوة لواء ميكانيكى فى اتجاه وادى الجدى .
— وبقوة لواء مدرع مدعم بكتيبة مشاه ميكانيكية فى اتجاه ممر متلا .

وببداية تقدم هذه القوات نشبت معركة الدبابات الكبرى والتى لم يشهد الشرق الأوسط لها مثيلا . ولم يأت هذا الهجوم من فترة هدوء قتالى لان القتال كان مستمرا وعنيفا منذ اليوم الأول . ولكن هذا الهجوم كان تطورا كبيرا للمجهود المصرى فى حرب أكتوبر . فلمدى يومين كنت ترى ارتالا الدبابات والعربات المدرعة والمدفعية وهى تتدفق عبر المعابر لتتخذ أوضاعها للهجوم وفى الوقت نفسه كانت اسرائيل تحاول أن تسابق الزمن بجذب مدرعاتها من الجبهة السورية لمواجهة الموقف الذى يوشك على الانهيار على الجبهة المصرية واستعانت اسرائيل بالترسانة الأمريكية التى سارعت الى نجدتها فدفعت لها بكميات ضخمة من المدرعات وطائرات الفانتوم . وبدأت تظهر على الجبهة المصرية دبابات لم تقطع سوى ٢٨٠ كم منذ خروجها من المصنع . وفى ظهر الثالث عشر من أكتوبر كانت المعلومات تفيد عن عبور لواءات مدرعة اسرائيلية للمضايق لمقابلة الهجوم المصرى . لقد ابتلع العدو الطقم ا وبدأ يسحب احتياطياته وقواته من أمام الجبهة السورية . وكان ذلك دلالة على نجاح المخطط المصرى .

لم يعلن اى من الطرفين عن حجم قواته بدقة وان كانت بعض المصادر الأجنبية تقول ان عدد الدبابات التى اشتركت فى هذه المعركة يفوق ما اشترك فى موقعة العالمين . ففى موقعة العالمين كان اجمالى عدد الدبابات للجانبين حوالى ١٦٠٠ دبابة ، اما فى موقعة الدبابات الكبرى فى حرب اكتوبر على الجبهة المصرية فلقد زاد العدد على ٢٠٠٠ دبابة .

وفى صباح ١٤ اكتوبر بدأ الهجوم المصرى الجديد بقصفه نيران قوية من أكثر من ٥٠٠ قطعة مدفعية لتأمين دفع هذه المفارز المدرعة. وتحت ستر نيران المدفعية المؤثرة تقدمت الدبابات المصرية . لقد بدات معركة كبرى للدبابات .

ولما كانت الدبابات هى نتاج تطور الفرسان فان حرب المدرعات يمكن تشبيهها بهجوم لواء الخيالة المشهور ممزوجا بصدمة معركة الأسطول القديمة او بتعبير آخر أمواج من الدبابات تزحف عبر الصحراء فى هجوم كاسح رهيب . ولكن الحقيقة عادة ما تكون اقل من الخيال . ففى ظروف المعركة تتدحرج الدبابة فوق سطح الأرض ببطء نسبى وليس بكل سرعتها ، ونادرا ما تطلق نيرانها اثناء الحركة ، وانما تفتح نيرانها من وقفات قصيرة . وعليه يمكن تشبيه قتال الدبابات بمباراة حامية للشطرنج يحاول كل طرف فيها أن يناور ويحاور ويداور ليحصل على ميزة تمكنه من توجيه ضربات قوية مفاجئة لخصمه لا يمكنه الرد عليها .

وعلى رجل المدرعات ان يستغل الامكانيات الميكانيكية والقتالية لدبابته الى اقصى حد . ولذلك تبنى الدبابة بالشكل الذى يعطيها القوة والسرعة معا . ويكفى ان تتصور معى دبابة قادرة على حمل وتحريك وزن كبير من الدروع (٣٠ — ٥٠ طن من الصلب) ولها قدرة عالية على المناورة وخفة الحركة . ان ذلك ليس بالأمر السهل البسيط . كما يجب أن يكون للدبابة مدفع قوى وأن تكون الدبابة قادرة على تحمل الصدمة الناتجة منه عند الضرب والتى تصل الى

ما يعادل وزنها تقريبا . هذا بالاضافة الى الكثير من الأشياء الأخرى الهامة مثل خزانات الوقود واجهزة التهوية ... الخ .

ولقد عبر أحد العسكريين الغربيين عن الدبابة قائلا : « لا يمكن للدبابة ان تحمل من الدروع ما يمكنها من أن تكون آمنة دائما » . فطلقة المدفع المضاد للدبابات التى تطلق على مسافة معقولة يمكنها أن تخترق ضعف قطرها على الأقل . فاذا كان مدفع الدبابة م ــ ٦٠ الاسرائيلية عياره ١٠٥ مم فان فى قدرته اذا ما أطلق على مسافة ١٥٠٠ متر أن يخترق درعا سمكه ٢١٠ مم . وبالمثل أى مدفع عيار ١٠٠ مم يطلق نيرانه على دبابة على مسافة ١٥٠٠ متر ففى مقدوره اختراق درع سمكه أكثر من ٢٠٠ مم . وعليه فأحسن وقاية للدبابة هو اختفاؤها واستخدامها لطبيعة الأرض . فثنية أرضية صغيرة يمكنها اخفاء جزء كبير من الدبابة وقد يكون ذلك سببا فى نجاحها فى تدمير دبابة معادية ونجاتها هى من التدمير . وعلى ذلك فمهارة قائد الدبابة وسائقها على درجة عالية من الاهمية، أو بتعبير آخر ان التكتيكات الصغرى فى معارك الدبابات تعتبر حيوية للغاية . فقائد فصيلة او سرية أو سرب دبابات الكفء هو الذى يمكنه أن يستغل مهارة رجاله فى التكتيكات الصغرى ويستفيد من الأرض الميتة وطرق الاقتراب المستورة ليصل الى المكان المناسب لمهاجمة العدو دون كشف لتحركاته . فى هذه الحالة يمكنه أن يدمر للعدو أضعاف اضعاف عدد الدبابات التى يقودها . بل ان سرية واحدة يمكنها تدمير كتيبة دبابات .

هذا الى جانب أن المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات ــ أحدث تطورا حدث للمدفعية المضادة للدبابات ــ تتميز بما يجعلها خطرا داهما على الدبابة فهى ذات مدى أكبر من مدى سلاح الدبابة (يصل الى ضعف مرمى مدفع الدبابة) ، ولها درجة دقة أعلى من الاصابة فهى قادرة على الحصول على اصابة مباشرة

من الطلقة الأولى ، كما أنها أكثر قدرة على أن تختفى من رؤية الدبابة وبذلك تتوفر لها الفرصة لتطلق الطلقة الأولى . وعليه ففى معارك الدبابات تلعب المقذوفات الموجهـــة المضادة للدبابات دورا حيويا لأن تعاونها مع الدبابات يجعل لها الغلبة والتفوق . ولهــذا تحاول معظم جيوش العالم أن تدخلها ضـــمن التركيب التنظيمى للقوات المدرعة .

لقد كانت حرب أكتوبر أول اختبار فعلى لهذا السلاح القاتل للدبابة ولهذا تتهافت الدول على مصر لتعرف خبرتها فى استخدام هذا السلاح . وتتركز التساؤلات حول :

كيف استخدم ؟ وأى أنواعه أكثر فعالية ؟ وكيف تعاون مع الدبابات ؟وما هى معـــدلات الخسائر الناجمة عن استخدامه ؟ وكيف أمكن تدريب عمال التوجيه ؟ وكيف يمكن مقاومة هـــذا السلاح الجديد ؟ وما هو دور مدفعية الميدان فى ذلك ؟

وبدأ تقدم القوات المدرعة المصرية على المحاور المختلفة يحرز تقدما رغم المقاومة العنيفة التى قابلته . وبعد أن تأكد الهـــدف من التطوير ، وهو تخفيف العبء عن الجبهة السورية ، وابتلع العدو الاسرائيلى الطعم وسحب الكثير
فى الجبهة المصرية ، قررت القيادة المصريـ
داخل رءوس الكبارى مرة أخرى . وتم لها م
العودة الى داخل رؤوس الكبارى دون أن تتكب

وكان للمدفعية المصرية فضل كبير فى ستر سحب هذه القـــوات المدرعة بأن قامت باسكات بطاريات مدفعية العدو ومنع مدرعاته من الضغط على قواتنا لأن من أخطر اللحظات عودة قوات لتنضم الى قاعدتها اذ قد يستغل العدو ذلك فيضغط عليها ويوجه هجمات وضربا تمضادة ناجحة .

لقد بدأت معركة الدبابات الكبرى اعتبارا من اليوم الثامن من

اكتوبر واستمرت الى أن صدر قرار وقف اطلاق النار الذى استغله العدو فى توسيع الثغرة .

معركة الثغرة

كثر الحديث عن الثغرة وشدت انتباه الجميع سواء لأنها كانت الشىء الوحيد الشاذ فى عملية العبور المصرى العظيم . وكان كل مصرى يود لو لم تحدث هذه الثغرة اذ كانت فى نظره كنقطة حبر صغيرة سقطت سهوا على صفحة بيضاء ناصعة من الانتصار . واخذت الدعاية الاسرائيلية والاستعمارية تحاول — دون جدوى — أن تنفخ فى هذه الثغرة لتكسب بها شيئا ، ولكن الحقائق دمغتها واكدت الانتصار المصرى العظيم . وسأحاول هنا أن القى ضوءا من الحقيقة على معركة الثغرة ليعرف كل مواطن عربى مدى ما حققته القوات المسلحة المصرية من انتصار عبر عنه توفيق الحكيم « بعبور الهزيمة » .

فى حديث صحفى لموشى ديان : « فى الواقع كانت هناك أمور غير متوقعة » . فلم نستطع بناء الجسور على القناة . وكان اعتقادى انه اذا ما نجح المصريون فى بناء جسورهم ليلا فان فى وسع دباباتنا أن تدمرها . ولكنه اتضح أن معداتهم الجديدة ، وبصفة خاصة صواريخهم المضادة للدبابات التى بلغ مداها ثلاث كيلو مترات — كانت فعالة جدا وقد دمر لنا الكثير من المدرعات بهذا السلاح » أن محاولة الاقتراب من القناة وتدمير الجسور كانت أمر بالغ الصعوبة وكلفتنا الكثير لقد سارت الأمور على خلاف ما كنا نتوقع » .

ومن هذا الحديث يتضح ان موقف اسرائيل كان بالغ الحرج . وعندما قررت مصر دفع قواتها المدرعة لتطوير الهجوم شرقا لتخفيف العبء من سوريا بدا الاسرائيليون يفكرون فى عمل مغامرة تليفزيونية برعوا فيها دائما خاصة وانهم علموا ان العالم سيتدخل لوقف اطلاق النار . ومن هنا كانت عملية الغزالة .

ولقد كانت الأوضاع بالجبهة المصرية كما يلى :

١ ــ تمكنت القوات المصرية من اقتحام قنــاة الســويس وخط بارليف الحصين خلال ساعات قليلة وتقدمت شرقا الى عمق حتى ١٨ ــ ٢٠ كم .

٢ ــ دفعت القيادة المصرية بمغارذ مدرسة للتطوير شرقا للضغط على القوات الاسرائيلية واجبارها على سحب أكبر جزء من القوات الموجودة فى مواجهة القوات السورية للتخفيف عن الجبهة السورية ، وبذلك قلت القوات والاحتياطيات الموجودة فى غرب القناة .

٣ ــ كان الراى السائد فى الأوساط العسكرية العالمية يقول بأنه يتحتم على اسرائيل أن تدخل فى معارك بالدبابات لمنع القوات المصرية من الانطلاق تجاه المضايق الحاكمة فى سيناء باعتبارها مفتاح الطريق من والى القناه وفلسطين .

٤ ــ بدات طائرات الاستطلاع الامريكية تتجسس على الجبهــة المصرية علها تجد نقطة تصلح للوثوب أو لعمــل ما يحفظ لأمريكا ماء وجهها بعد أن تغلب السلاح السوفيتى فى أيدى الرجال المصريين على السلاح الأمريكى فى أيدى الاسرائيليين . ويبدو أنهم وجدوا فى نقطة الاتصـــال بين الجيش الثــانى والثالث المصريين ضالتهم خاصة بعد أن عبرت القوات المدرعة التى تمثل الانساق الثانية لهذين الجيشين شرقا ولا زالت مشتبكة فى قتال عنيف فى معركة الدبابات الكبرى .

٥ ــ كان الجسر الجوى الأمريكى الجبار ينقل مئــات الدبابات الحديثة من طراز م ــ ٦٠ الى العريش حيث يتم تطقيمها وانطلاقها الى الجبهة .

٦ ــ بدات اسرائيل تستعرض خسائرها من القوات الجــوية اذ

وصلت اليها طائرات فانتوم بطياريها كما أمدتها جنوب افريقيا بعدد لا بأس به من طائرات الميراج .

ومن هنا كانت الضربة الاسرائيلية فى هذا الاتجاه مغرية الى اكبر حد للأسباب الآتية :

(أ) ان نجاح مثل هذه الضربة وعبور القوات الاسرائيلية غربا مع ما فيه من مخاطر ومع اقتراب موعد وقف اطلاق النار قد يظهر اسرائيل بمظهر من لم يفقد المعركة ، وأن تكون فى وضع يمكنها من المساومة اذا ما أمكنها تثبيت أقدامها فى الثغرة .

(ب) ان ذلك معنويا سوف يحدث آثارا كبيرة قد ترفع من معنويات الشعب فى اسرائيل وقد تمت فى معنويات الشعب العربى .

(جـ) ان ذلك قد يتيح لها فرصة لتدمير جزء من قواعد الصواريخ المتاخمة للقناة وبذلك تتوفر لقواتها الجوية بعض الحركة .

فكرة العملية الاسرائيلية :

من المعروف استراتيجيا وتعبويا أن أضعف نقط فى أى دفاع هى نقط الاتصال بين القوات . ولذلك يهتم القادة عادة بتأمينها بالقوات وبالنيران وبالمناورة وبالاحتياطيات وما من شك أن القيادة المصرية اهتمت اهتماما بالغا بنقطة الاتصال بين الجيش الثانى والثالث وخططت لتأمينها ضد جميع الاحتمالات . هذا ويمكن لأى رجل عسكرى عادى أن يدرك بسهولة ان البحيرات المرة العظمى ــ والتى تمثل مانعا طبيعيا ضد أى عمليات عبور بقوات كبيرة ــ تعتبر أيضا عنصر تأمين لجانب أى قوات تتقدم شمالا بحذائها مرتكزة بجانبها الأيسر على هذه البحيرات . كما أن منطقة الدفرزوار تتميز بما يلى :

١ - بها أشجار كثيرة تساعد على الاخفاء .

٢ - منطقة مزروعة تصعب فيها الهجمات المضادة .

٣ - خلفها منطقة صحراوية تصلح لعمل الدبابات بحرية وكفاءة .

٤ - ترتكز فى البحيرات المرة العظمى وبذلك يتحقق لها تامين من أحد أجنابها كما أن البحيرات يمكن استخدامها فى أعمال الابرار البحرى والامداد .

وعليه يبدو أن المستشارين الامريكيين أشاروا على اسرائيل باختيار هذه المنطقة لعمل مغامرتهم التليفزيونية بعد أن تأكدت طائرات الاستطلاع الأمريكية من وجود احتمالات نجاح المغامرة جزئيا ، كما أن العالم بدأ يتحرك بسرعة لايقاف القتال فى الشرق الأوسط خوفا من تطور الأمور الى مواجهة بين العملاقين وهو امر محظور على الصعيد الدولى .

ولكى تنجح المغامرة كان على القوات الاسرائيلية أن تفعل ما يلى :

١ - تشن هجمات مضادة بكل ما لديها من امكانيات ضد الجانب الأيمن للجيش الثانى بمهمة زحزحة الجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاه شمالا لبضع كيلو مترات لتأمين منطقة العبور المختارة فى الدفرزوار .

٢ - توجيه هجمات مضادة اخرى فى قطاعات اخرى لتثبيت القوات المصرية وجذب انتباهها بعيدا عن منطقة الثغرة .

٣ - القيام بعملية ابرار بحرى فى بور سعيد لجذب انتباه القيادة المصرية الى بور سعيد بعيدا عن البحيرات وعليه يمكن تصوير فكرة عملية الغزالة فيما يلى :

بقوة حتى ٣ لواءات مدرعة ولواء مشاه ميكانيكى توجيه هجمة او ضربة مضادة ذات شعبتين على الجانب الأيمن للجيش الثانى (ضد قوات الفرقة ١٦ مشاة) بهدف زحزحة الحد الأمامى الى

ما خلف تقاطع الطرق شرق الدفرزوار ثم الاستيلاء على النقطتين القويتين بالدفرزوار يتم دفع قوة من المظليين أو المشــــاه تعبر بالقوارب عبر القناه والبحيرات المرة لتستولى عــلى رأس كوبرى صغير فى منطقة الدفرزوار يتم تدعيمـــــه فـورا ببعض الدبابات البرمائية وابرار جوى بالهليكوبترات ، ثم يتم دفع عنـــاصر من المهندسين العسكريين لانشاء معبر ثقيل فى منطقـــة الدفرزوار ليمكن دفع لواء مدرع يتسلل بحذاء البحيرات ثم يعبر الى منطقة الدفرزوار بسرعة وينتشر على شكل مفارز من سرايا مدرعة مدعمة بالمشاه الميكانيكية تقوم بالهجوم على بعض قواعد الدفاع الجـوى المصرية القريبة لتدميرها وخلق حربة عمل للقـــوات الجـــوية الاسرائيلية . وبمجرد صدور قرار وقف اطلاق النار وقبول مصر له تسلل هذه القوات لتوســع رأس الكوبرى مع دفــع قـوات جديدة لتدعيمه .

كيف نفذ العدو الاسرائيلى خطته ؟ ان الوثائق الدقيقة لمثـل هذه العمليات لا تنشر عادة الا بعد مضى مدة تصل الى عشر سنوات ولكن البعض من المحررين العسكريين بما لديهم من وسائل كثيرا ما يتمكنون من الحصول على بعض المعلومات الصحيحة فينشرونها فى كتب بعد أن يضعوا لها ديباجة لالباسها ثوب التشويق والاثارة . ومن بين الكتب التى صدرت وتحدثت عن الثغرة كتاب .

والذى تحدث فيه ستة محررين من صانداى تايمز عن معركة الثغرة من وجهة النظر الاسرائيلية . ولم تخرج الفكرة التى نشروها عما حاولت أن استنتجه ودونته قبل ذلك بعد أن اســــتقيته من أسلوب التفكير العسكرى الاسرائيلى .

وفيما يلى مقتطفات مما نشر فى هذا الكتاب عن الثغـــرة أو ما أطلقوا عليه معركة المزرعة الصينية .

« كانت فكرة شارون تتلخص فى استخدام احـد لواءاته فى

جلب انتباه المصريين بعيدا فى الوقت الذى يقوم فيه لواء آخر بالسيطرة على الطريق المتجه جنوبا من الطاسة الى البحيرة المرة العظمى . هذا الطريق يتصل بطريق القتال الرئيسى على مسافة بضع آلاف من الياردات من الوصلات التى تؤدى الى نقطة العبور المختارة . وتعرف منطقة هذه الوصلات باسم المزرعة الصينية لانه قبل حرب الستة أيام بمدة كان الخبراء الصينيون يجرون بعض التجارب الزراعية فيها . واذا تمكن شارون من السيطرة على الطريق وهذه الوصلات سيكون فى مقدوره دفع المهندسين العسكريين والمعابر المتحركة والمظليين لتأمين المعبر — ومعهم لواء مدرع جديد ليعبر ويقاتل على الضفة الأخرى . وبعد ان ينجح المهندسون فى تعبير عدد من الدبابات على المعديات يقومون بانشاء كوبرى على القناة . وكان التوقيت الذى حدد للعملية هو الغسق من يوم الاثنين . وكان المفروض أن تعبر أولى عناصر المظلات قناة السويس فى قوارب من المطاط الساعة ١١ مساء . وهذا يعنى ان أمام القوة المدرعة خمس ساعات لتقطع فيها مسافة ٢٥ ميلا خلف خطوط العدو وتقاتل قتالا ليليا ثم تتصل بالمهندسين وتقودهم بالمظليين عبر المعبر . وكان جزء كبير من الطريق يمر بكثبان رملية — ويندر أن تتمكن الدبابات المتحركة ليلا من التحرك بسرعة تزيد عن خمسة أميال فى الساعة .

وفى الخامسة مساء قام لواء مدرع تمركز شمال طريق الطاسة البحيرات بتوجيه هجوم مضاد فى اتجاه الغرب — فى اتجاه الاسماعيلية وكان هجوما خداعيا : ولقد قوبل بمقاومة عنيفة من القوة الرئيسية للفرقة ٢١ المدرعة المصرية .

بعد ذلك بساعة تحرك اللواء المدرع الثانى جنوبا . وفى جنح الظلام انحرف غربا تجاه البحيرات . وبوصوله الى الطريق اتجه شمالا تؤمنه البحيرات من الجانب الأيسر :

وتم تقسيم القوات الى ثلاثة أقسام : القسم الأول (بقوة حوالى لواء مدرع) يندفع فى اتجاه الشمال الشرقى ليبعد القوات المصرية عن الطريق الأسفلت ، والقسم الثانى يندفع شمالا ليدفع قوات اللواء ١٦ مشاة شمالا ، والقسم الثالث يندفع فى اتجاه مكان العبور المخطط .

وقوبلت الهجمات بمقاومة عنيفة من المصريين . وكان معنى ذلك أن تقاطع الطريق غير مؤمن التأمين الكافى . وحتى ذلك الوقت اختلت توقيتات العملية بشكل خطير — وفى منتصف الليل أمكن الإتصال بالمظليين الذين استولوا على النقطتين القويتين بالدفرزوار شرق . وحوالى الساعة ١٠٠ يوم ١٦ أكتوبر تمكنت مجموعة من ٢٠٠ رجل من العبور الى الدفرزوار غرب . ولم يجدوا أحدا هناك على الضفة الغربية وكانت المشكلة خلفهم على الضفة الشرقية اذ كانت الوصلة التى طولها حوالى ٢٫٥ ميل تغطيها نيران المدفعية المصرية فى عنف وشدة . وكانت قوة من المظاليين قد ابرت لتأمين تقاطع الطرق لتقدم المعدات الثقيلة ولكنها تعرضت لهجوم مضاد من المشاة المصرية المزود بالصواريخ المضادة للدبابات والقواذف الخفيفة المضادة للدبابات . وفى الوقت نفسه كانت تدور معركة رئيسية بالدبابات على بعد بضعة آلاف من الياردات شمال وشمال شرق التقاطع .

ولم تتحقق أهداف العملية : فحتى الفجر لم يكن الكوبرى قد أنشىء ، بل لم تتمكن القوات الاسرائيلية من تأمين وصلات الطرق المؤدية الى المعبر . وتعرض الهجوم الذى شنه اللواء المدرع شمالا لمقاومة شديدة ووقع تحت نيران كثيفة من المدفعية المصرية وبدا يظهر ان الأمر سيستغرق يومى قتال آخرين . وفى ليلة ١٦ أكتوبر شن المصريون هجوما مضادا ودارت معركة عنيفة فى المزرعة الصينية ، وكاد هذا الهجوم المدعم بالقوات الجوية أن يقضى على قوى العبور الاسرائيلية ، واصبح الأمر قاب قوسين أو أدنى ويتم

قطع راس الجسر الإسرائيلى عن باقى القوات . ولم ينقذ الموقف الا وصول قوات مدرعة اسرائيلية جديدة بقيادة برن ، وتمكن جزء منها من العبور وتأمين راس الكوبرى فى الدفرزوار .

ومع اول ضوء بدات المدفعية المصرية تقصف الوصلات وراس الشاطىء الأمر الذى حول الرحلة الى جحيم لا يطاق . وعلى الشاطىء الشرقى كان اللواءان المدرعان الاسرائيليان اللذان بدأ العملية يوم الاثنين لا زالا يقاتلان معركة غاية فى الشراسة .

وبكل المقاييس العسكرية المعروفة كانت محاولة اريك شارون انشاء راس كوبرى مأساة ومخاطرة معينة . فمع انه بدا هجومه بما يساوى فرقة مدرعة فلم يتمكن خلال معركة ١٦ ساعة الا من عبور ما لا يزيد عن كتيبة مدعمة بعدد من الدبابات المحددة . ولم يكن هناك كوبرى قد انشىء،ونتيجة قصف المدفعية فشل المهندسون عدة مرات فى انشاء الكوبرى وتأخر انشاؤه اكثر من ١٢ ساعة . واذا نظرنا الى كمية النيران التى القتها المدفعية المصرية على المثلث الطاسة ــ البحيرات ــ الاسماعيلية فان الموقف لم يكن يعطى اى بادرة امل فى النجاح » .

وكما قال الفريق الجمسى : « ورات القيادة العامة أن الموضوع لا يمكن تركه للقائد المحلى وانه يجب أن يعالج عى مستوى القيادة العامة . أن الهجوم على دبابات العدو المتسللة بقوات احتياطينا فى الغرب لم يفلح .. الهجمات كانت ضعيفة . وقررت القيادة العامة عدم العمل بقوات صغيرة . وصدر الأمر باستخدام لواء بالكامل لتدمير العدو وتم حشد نيران المدفعية ضد العدو فى منطقة التسلل ، وهاجم الطيران ابتداء من الصباح ولكن مقاومتنا لم تنجح لأن دبابات العدو الثلاثين التى تسربت تفرقت فى المنطقة الصحراوية الجبلية فى عدة اتجاهات .. وكانت لها حماية طبيعية .. ولم يكن من السهل تدميرها فى هذه الظروف .. ولقد قاتلت القوات

المصرية المهاجمة قتالا باسلا .. واستشهد قائد كتيبة ، وقائد لواء وقائد فرقة فى الهجوم الذى تقرر يوم ١٧ أكتوبر » .

وعلى الرغم من نجاح العدو فى تدمير موقعين للصواريخ فقط حتى مساء ٦ أكتوبر الا أن الموقف لم يكن خطيرا لا يمكن السيطرة عليه . فلقد استمرت المدفعية المصرية طوال ليلة ١٦ — ١٧ أكتوبر تصب حممها على العدو المتسلل لدرجة لم تشهدها أى معارك فى الشرق الأوسط حتى فى الصراع البريطانى الألمانى فى شمال أفريقيا .

ويصف كتاب كيبور الموقف يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر وما بعده فى عدة أماكن فيقول :

« وعندما حل يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر كانت المعركة ما تزال مستمرة فلقد تعثرت القوة المدرعة الاسرائيلية التى بدأت منذ ٤٨ ساعة تهاجم الموقع ومنيت بخسائر فادحة ، وعندئذ تقرر اللجوء لوحدات المشاه والمظليين للقضاء على الأسلحة المضادة للدبابات » . (كيبور) .

« وبينما كانت مدرعات شارون تعمل على توسع رأس الجسر كانت فرقة المدرعات برئاسة الجنرال برن تواصل تقدمها نحو نقطة العبور . ولم يكن ذلك رأس جسر وفقا للعبارة التقليدية . وذلك لأن محاور الحركة لم تكن قد ذللت بعد بصورة كاملة .. كما كان المحور الشمالى فى متناول الدبابات المصرية أما المحور الجنوبى فكان يتعرض لقصف مدفعى متصل من جانب المصريين » . (كيبور) « واذا كان الجزء الأكبر من فرقة برن لم يعبر القناة بسرعة فهذا يرجع الى أن المصريين شنوا هجوما مضادا كان يسحق رأس الجسر الذى اقامته وحدات المظلات على الجانب الآخر » . (كيبور) « وبينما كنا نقوم بتركيز قواتنا على الشاطىء الغربى تعرضنا لقصف مدفعى لم نشهد له مثيلا فى حياتنا ، فلقد وجه المصريون نحو رأس الجسر قوة النيران التى كانت متاحة لهم فى القطاع » . (كيبور)

« وعندما وصلت الى الجسر ادركت انها مذبحة ، فلقد شاهدت عشرات من رجالنا مبعثرين قتلى » . (كيبور)

من هذه العبارات التى وردت متناثرة فى كتاب حرب عيد الغفران (كيبور) يتضح مدى ما تعرض له العدو الاسرائيلى من ضرب خلال انشائه للجسر . ولقد التقطت ١٠٠ محادثة بين القائد الاسرائيلى والقيادة العليا يطلب فيها الغاء العملية لجسامة الخسائر التى تكبدها ، وترد القيادة العليا ترجوه الثبات وتقول له أن مستقبل اسرائيل متوقف على نجاح هذه المغامرة .

ويتابع الفريق الجمسى حديثه عن الثغرة فيصف الهجوم المضاد الذى تم لتدمير قوات الثغرة والاحاطة بها قائلا :

« كانت خطة القيادة العامة تتلخص فى حصار الثغرة وحصرها فى أضيق مساحة من الأرض فى الغرب وسرعة تدميرها ، وفى الوقت نفسه قفلها من الشرق حتى لا تتدفق قوات العدو . وتقرر أن يهاجم الجيش الثانى جنوبا والجيش الثالث شمالا لسد الثغرة من الشرق وقطع خطوطها وبذلك يقع العدو فى المصيدة » .

ويتابع الفريق الجمسى حديثه قائلا : « تقدمت قوات الجيش الثانى جنوبا وتقدمت قوات الجيش الثالث شمالا وبلغت المسافة بينهما ٤ كيلومترات فقط ولكنهما لم يتمكنا من الالتقاء . لقد استمات العدو لتأمين مرور قواته شمالا وجنوبا وكان القتال رهيبا استخدمت فيه كل الأسلحة . وهكذا استطاعت قواته يوم ١٧ أكتوبر أن تنفذ باعداد أكثر الى الغرب . ولكن القتال الرهيب استمر ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ أكتوبر تكبد خلالها العدو أكبر خسائره فى الحرب كلها » .

(من حديث نشر فى جريدة اخبار اليوم)

حاول العدو بعد نجاحه فى التسلل غربا أن ينتشر شمالا وجنوبا وخاصة بعد أن تمكن من ايقاف هجماتنا المضادة ولكن الجيش الثانى

الميدانى نجح فى منعه من الاقتراب من الاسماعيلية واوقف تقدم العدو الاسرائيلى ، وعدل من أوضاع قواته بما يحقق تحديد انتشار العدو وايقاف تقدمه شمالا وغربا ونجح فى ذلك تماما .

عند ذاك فكر العدو فى الانتشار جنوبا وهنا دفع الجيش الثالث باحتياطياته لايقاف تقدم العدو وحدثت معارك رائعة فشل فيها العدو فى تطوير هجومه . وفى ٢٢ أكتوبر أعلن وقف اطلاق النار ، واستغل العدو هذا الموقف فتسلل ببعض مفارزه المدرعة الصغيرة ووصل الى طريق القاهرة السويس وقطع طريق الامداد والتموين عن قوات بدر (فرقتين من الجيش الثالث الميدانى) .

وتمكنت القيادة المصرية من تعديل أوضاع قواتها ودفع احتياطياتها بالشكل الذى احاط بقوات العدو الاسرائيلى وبدأت تعد العدة لتدميرها ووضعت لذلك خطة أعلن عنها الفريق الجمسى باسم « الخطة شامل » .

بعد ذلك بدأت معركة جديدة استمرت حتى توقيع معاهدة الفصل بين القوات ، وكانت هذه المعركة استنزافا دمويا للعدو الاسرائيلى الذى اخذ يئن تحت وطأة الضربات النيرانية للمدفعية المصرية والدبابات .

وبدأت المحادثات عند الكيلو ١٠١ بهدف انقاذ الموقف من التدهور فى الشرق الأوسط بوساطة من وزير الخارجية الأمريكى الدكتور كيسنجر . وخلال هذه المفاوضات لم يتوقف القتال . وفى النهاية قبلت اسرائيل الانسحاب من الضفة الغربية وبقاء رؤوس الكبارى المصرية كما هى . وتم فصل القوات . وانتهت مرحلة من مراحل الصراع من أجل تحرير الأرض المغتصبة ومصر منتصرة . واثبتت القوات المسلحة المصرية انها قادرة على تلقين العدو الاسرائيلى درسا لن ينساه وانتهت أسطورة أن جيش الدفاع الاسرائيلى جيش لا يقهر .

خاتمة

دروس من حرب أكتوبر رمضان ١٩٧٣

بعد أن توقف القتال واتفقت الأطراف على فصل القوات بدأت المحافل العسكرية المختلفة فى دراسة نتائج حرب أكتوبر ومدى تأثيرها على الأفكار الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية . لقد أحدثت هذه الحرب هزات عنيفة بين الدوائر الفكرية العسكرية . وبدأت المدارس العسكرية المختلفة تتقرب من مصر وسوريا للتعرف على الدروس المستفادة من هذه الحرب . وقام كبار الاستراتيجيين والعسكريين من أمثال الجنرال بوفر بزيارة الشرق الأوسط للتعرف على وجهات النظر المختلفة وتبادل الخبرات والآراء . وألقى الجنرال بوفر عدة محاضرات يشرح فيها وجهة نظره ازاء هذه الحرب . وفى يقينى أن خير ما أختتم به هذا الكتاب هو الحديث عن الدروس التى استخلصها المعلقون والمفكرون العسكريون وخاصة من المعسكر الغربى لنفهم كيف يفكر العالم وبالتالى كيف يفكر عدونا الذى يدين بعقيدته العسكرية للمدرسة الغربية .

درس عن المخابرات والاستطلاع :

تكاد تجمع كل المصادر على أن أجهزة المخابرات الاسرائيلية والأمريكية تمكنت من رصد كل الاستعدادات العسكرية المصرية والسورية لشن الحرب . ففى السنوات الثلاثين الأخيرة أحرزت وسائل الاستطلاع الجوى تقدما مذهلا جعل من المستحيل أن يتمكن جيش من اخفاء مثل هذه الاستعدادات الضخمة عن التصوير الجوى ووسائل الاستطلاع الالكترونى والرادارى والأقمار الصناعية التى

اصبحت تسبح فى الفضاء الخارجى لا تمتد اليها أى وسائل دفاعية لتسقطها أو تمنعها من الاستطلاع . ويكفى لابين كم أصبحت عليه هذه الوسائل من دقة أن شركة من شركات انتاج كاميرات تعرضت لقضية رد شرف لأنها نشرت صورة التقطتها احدى طائراتها أثناء رحلة تصوير جوى من ارتفاع ٣٠ كم فاتضح أنها لزوجة ضابط امريكى باحدى القواعد الأمريكية بأسبانيا فى أحضان زميل له على سطح فيلا . واعتبر الضابط أن تلك الصورة تشهير به فطالب بمليون دولار رد شرف . وهذا يوضح مدى دقة التصوير الذىأمكنه تمييز تفاصيل انسان التقطت له صورة من هذا الارتفاع الشاهق ».

ومع كل هذا التقدم المذهل أمكن للعرب تحقيق مبدأ هام من مبادىء الحرب وهو المفاجأة . ويرى المفكرون العسكريون الأجانب أن الأسباب التى أدت الى ذلك هى :

١ ـ أن حجم المعلومات التى تقوم ادارة المخابرات والاستطلاع بأى دولة كبيرة جدا ومتنوعة . ويرى بعض المعلقين أن المشكلة التى تواجه القوات المصرية أساسا هى معالجة هذا الحجم الضخم المتنوع من المعلومات والاستفادة منها وذلك فى الوقت المناسب .

٢ ـ ان التقدم العلمى الذى احرزته وسائل المواصلات ومركزية اتخاذ القرار على المستوى العالى قللت الى حد كبير من القاعدة التى ستعلم بهذه المعلومات وبذلك اصبح من الممكن حدوث تأخير بالنسبة للمنفذين قد يكون ذا أثر ضار على سير الحرب وخاصة فى مراحلها الأولى .

٣ ـ وعلى ذلك فرغم هذا التقدم المذهل فى وسائل المواصلات الحديثة ووسائل الاستطلاع الا ان المفاجاة ممكنة الحدوث ولا يمكن لأى طرف أن يتجنبها .

الهجوم والدفاع :

يرى المعلقون ان حرب اكتوبر قد اوضحت أو أضاءت الطريق الى انسب استراتيجية فى وقتنا الحاضر وهى استراتيجية الهجوم الاستراتيجى الذى يرتبط بدفاع تكتيكى .

أن المقارنة بين هذه الحرب الأخيرة والحروب السابقة توضح المزايا التى يمكن تحقيقها بتوجيه هجوم استراتيجى مفاجىء أى توجيه الضربة قبل ان يتمكن العدو من جذب قواته لمواجهة الموقف بالأسلوب التقليدى القديم . وليست سرعة ومدى الأسلحة الحديثة هى التي تحقق المزايا التى يمكن اكتسابها من الضربة الابتدائية (الأولى) فحسب بل أنه لمن المؤكد أن المزايا التى يتم تحقيقها لا يمكن للطرف الآخر أن يلغيها أو يضيع من آثارها . ففى الأيام الأولى من حرب اكتوبر تمكنت القوات المسلحة المصرية والسورية من الحصول على مزايا كثيرة نتيجة نجاح الضربة الاولى الاستراتيجية ولم تتمكن اسرائيل رغم الدعم الضخم الذى قدمته لها الولايات المتحدة الأمريكية من أن تمحو آثار هذه الضربة حتى بمغامرة الثغرة المعروفة .

ويقول بعض المعلقين العسكريين انه توجد حقيقة اثبتتها حرب اكتوبر مؤداها أنه يصعب الى حد كبير حرمان القائم بالهجوم الاول من ميزة استيلائه على أرض استولى عليها نتيجة الضربة الاستراتيجية المفاجئة الناجحة ، وان القيام بضربة مضادة للحصول على كسب فى مقابل الخسارة التى تحملها المدافع لعمل توازن ما لن تكون لها مثل ثمرة الضربة الاولى . ويبدو أن هذا هو ما كان يجول فى التفكير المصرى منذ البداية . وأنه لعدد من الأيام ، ليس بقليل ، تمكن المصريون من اجبار القوات الاسرائيلية على توجيه هجمات تكتيكية مضادة فاشلة كلفتها خسائر جسيمة .

الدفاع الثابت والدفاع المتحرك :

يحاول بعض العسكريين الغربيين ان يصور الموقف لو ان

اسرائيل على جبهة القناة كانت تدافع بأسلوب آخر قد يكون بنظرية الدفاع الثابت اى بالاحتفاظ بقوات كبيرة (الجزء الأكبر من قوات النسق الاول) فى الدفاع بخط بارليف وتقليل حجم الاحتياطيات (او النسق الثانى) .

ويتساءلون عما تكون عليه نتيجة الحرب لو كان الأمر كذلك ! ولكنهم نسوا شيئا هاما وهو ان مواجهة قناة السويس تزيد عن ١٥٠ كم وانه لا يمكن أن يدافع عنها بقوة فى كل مكان . واذا كانت الحرب قد اظهرت شيئا فى هذا المجال فلقد اثبتت فشل الخطوط الحصينة ، اذ تمكنت القوات المصرية خلال ٣٦ ساعة من اقتحام القناة والوصول الى عمق مناسب والتخندق للتمسك بالأرض وصد الهجمات المضادة الاسرائيلية .

والدرس الذى يمكن الخروج به من ذلك هو انه كان لزاما أن يتم تجميع الاحتياطيات خلف الخط الحصين وبالقرب منه وليس على عمق كبير كما حدث (هكذا يقول الخبراء العسكريون الغربيون) وان كان تطبيق هذا الرأى لم يكن فى مقدور ولا فى صالح اسرائيل اذا كان يتعين عليها أن تحتفظ بقوات كبيرة وفى درجة استعداد عالية وهو ما لا يتحمله الاقتصاد الاسرائيلى لفترة طويلة .

دور المدرعات :

ان تاريخ الدبابة يحدثنا عن قصة مثيرة ترمى الى اختــراع مركبة قادرة على اختراق الخنادق المحصنة وهو ما كان يهدف اليه دور الفرسان المدرعة . وخلال فترتين او فرصتين بدا ان هذه المحاولة تحققت خلال النجاحات الالمانية فى الفترة ما بين عام ١٩٣٩ وعام ١٩٤١ (وذلك على الرغم من القول بأنه لو كان هناك دفاع قوى منظم لما حدثت هذه الانتصارات) وخلال حرب الستة ايام (كما يدعى بعض المعلقين الغربيين . ولكن بدات العقيدة العسكرية الغربية تشك فى قيمة ومكانة الدبابات لهذا الدور منذ عام ١٩٤٣

ويبدو أن حرب اكتوبر ١٩٧٣ قد بدأت تزيد من هذه الشكوك .

أن جوهر حرب المدرعات هو الحركة وحرية المناورة . ان الدبابة تعتمد على عدم وجود سلاح قوى قادر على ايقافها . ففى الماضى أما ان الاسلحة المضادة للدبابات لم تنتج بالعدد الكافى ولم تكن ذاتية الحركة (كما هو الحال بالنسبة للمدفع المضاد للدبابات) أو انها قاست من قصر المرمى (كما هو الحال بالنسبة للبازوكا والبيات وغيرها من القواذف المضادة للدبابات) . ولما تطورت الصناعة الى انتاج صاروخ موجه مضاد للدبابات رخيص نسبيا يمكن لفرد واحد أو عدد محدود من الأفراد أن يستخدموه ويتميز بطول المرمى أصبحت الأسلحة المضادة للدبابات قادرة على مواجهة الدبابات بنجاح . هذا الى جانب أن الاسلحة الجديدة أصبحت قادرة على تحييد خفة حركة الدبابة وذلك لأنها موجهة وبذلك يمكن السيطرة على مسارها فى الجو (على خط المرور) . وكنتيجة فكل المحاولات التى تمت لاستخدام الدبابة فى دور الفرسان ــ الاختراق لم التطوير ــ فشلت نتيجة المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات ونجاحها فى حرب اكتوبر . ولذلك تحتم الاحتفاظ بالدبابات فى العمق واستخدامها بحذر ، وأصبح دورها الرئيسى (من وجهة النظر الاسرائيلية على الأقل) هو القتال ضد المدرعات وكمدافع متجولة تطلق نيرانها على حشود من القوات من خارج مرمى المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات .

هذا ويرى الخبراء العسكريون الغربيون أن حرب اكتوبر قد اكدت مدى تعرض القوات المدرعة للقوات الجوية أو بتعبير آخر « لا يمكن لأى رجل مدرعات مهما بلغت كفاءته ان يعمل دون غطاء جوى ناجح » وهذا الدرس لم تستوعبه اسرائيل من خبرة الحرب العالمية الثانية ولا من خبرة حرب الايام الستة ، على الرغم من ان نجاح مدرعاتها فى حرب الايام الستة فى الاختراق كان نتيجة حصولها على السيادة الجوية بعد خروج القوات الجوية المصرية من

المعركة . ولو قدر الضربة الجوية الاسرائيلية ان تفشـــل ونجح الطيران المصرى فى تجنب المأساة لمـا تمكنت المدرعات الاسرائيلية من العمل . ومن خبرة حرب الايام الستة ان المدرعات الاردنية لم تتمكن من التأثير فى القتال لافتقار الجيش الاردنى للغطاء الجوى . وفى حرب اكتوبر فشلت اسرائيل فى الحصول على السيطرة الجوية ولذلك تعرضت مدرعاتها لخسائر فادحة (كما يدعى الخبراء الغربيون) .

ولالقاء بعض الضوء على المستقبل يقول هؤلاء الخبراء أن دور المدرعات الذى كان معروفا حتى عام ١٩٦٧ وهو الهجوم والاختراق والتطوير معرض للخطر . ومع ذلك ففى رأيى أن الدبابة ستظل مؤكدة لدورها اذا ما نجحت المدفعية فى حمايتها من خطر المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات وذلك باسكاتها اسكاتا مضمونا ومنعها من انتاج نيران مؤثرة على الدبابات القائمـــة بالهجوم . ومن المتوقع أيضا ان يحدث تطوير جديد للدبابات يهدف الى زيادة سرعتها وخفة حركتها ، بل أن البعض يصل فى تصوره الى أنه سيحل محل الدبابة مركبة قتال جديدة أكثر خفة حركة واعلى سرعة تحرك واقدر على المناورة من الدبابة الحالية .

مستقبل القوات الجوية :

فى هذا المجال توجد ثلاث ملاحظات :

أ ـ ضاعت آمال اسرائيل التى كانت قد علقتها على كفاءة طياريها فى التغلب على وسائل الدفاع الجوى المصرية ، بل لقد أدى ذلك الى ضياع خبرة طياريها فلقد نجحت الصواريخ سام بجميع أنواعها وخاصة سام ٦ وسام ٧ بفضل رجال الدفاع الجوى المصرى فى منع الطيران الاسرائيلى من تأدية مهامه بنجاح . وبالرغم عن الآمال العريضة التى علقتها أسرائيل على الصاروخ الامريكى شرايك (جو ـ أرض) ضد قواعد

الصواريخ سام ۲ وسام ۳ فلقد فشل هذا الصاروخ نتيجة خبرات اكتسبها رجال الدفاع المصرى لمواجهة هذا السلاح ، كما أن تأثيره ضد الصواريخ الخفيفة الحركة سام ٦ وسام ٧ كان مشكوكا فيه . هـذا الى جانب ان الشـوشرة والاعمال الالكترونية المضادة أصبحت غير ناجحة لعوامل كثيرة منهـا امكانية توجيه الصواريخ المضادة للطائرات بصريا أو بالاشعة التحت حمراء وكلها لا يمكن الشوشرة عليها .

ومن جهة أخرى يرى الخبراء العسكريون الغربيون أن الاسرائيليين لم ينجحوا فى احباط أو منع الضربات الجوية المصرية والسورية . فلقد نجحت القوات الجوية المصرية والسورية فى تنفيذ معظم مهامها القتالية .

ويمكن القول بان القنابل التليفزيونية وتلك التى توجه باشعة الليزر ستمكن الطائرات من تفـادى تأثير الاسلحة الجديدة المضادة للطائرات الى حد كبير ، وستمكنها من مهاجمة الاهداف البرية من على ارتفاعات عاليه . ولهذا يرى البعض أن دور القاذفة المقاتلة قد انتهى . فلقد اصبحت حريتها فى العمل مهددة باخطار جسيمة . وفى المسـتقبل ستصبح القوات البرية قادرة على حماية نفسها من الضربات الجوية التى توجههـا القاذفات المقاتلة لها . ويرد الخبراء العسكريون الغربيون على ادعاءات اسرائيل بنجاح طيرانه (القاذفات المقاتلة) فى تنفيذ مهامها بعد ١٧ اكتوبر ١٩٧٣ بأن هذا القول أن فرضت صحته كان فى منطقة الثغرة نتيجة تعرض عدد من قواعد الدفاع الجوى المصرى للتدمير أو التعطيل ولو كان لدى مصر عدد كبير من الصواريخ سام ٦ المجنزرة لما تمكنت اسرائيل حتى من عمل الثغرة .

٢ - يقول الخبراء العسكريون الغربيون أيضا بأن حرب اكتوبر قد دعمت الشك فى أهمية الطائرات ذات السرعات العالية جـدا .

ففي السنوات الأخيرة سمع العالم عن الطائرات السوفيتية ميج ٢٣ ، ميج ٢٥ والتى أدعت بعض المصادر بوجودها فى مصر وسوريا للقيام بأعمال استطلاع فوق سيناء واسرائيل . وقيل ان هذه الطائرات بقدرتها على الطيران على ارتفاع يصل الى ٨٠٠٠ قدم تصبح على هذا الارتفاع غير فعالة ضد الأهداف الأرضية . واذا ما هبطت على ارتفاعات منخفضة قلت سرعتها بدرجة كبيرة . وهنا تظهر اهمية المناورة وتفوقها على الارتفاعات العالية بعد أن حلت الأقمار الصناعية مشكلة الاستطلاع . وبدأ يظهر تساؤل أو شك فى اهمية سرعة الطائرة وعما اذا كان ذلك يخدم هدفا مفيدا . فمن المعروف أن الفانتوم ف ٤ هى أحسن قاذفة مقاتلة فى العالم ، وان هذا التفوق ظل يلازمها لمدة ١٨ عاما ٪ وان عيبها الوحيد فى نظر الخبراء هو انخفاض سرعتها النسبى

٣ — واخيرا يرى الخبراء العسكريون الغربيون أن حرب أكتوبر قد اثبتت أهمية طاقة او قدرة النقل الجوى ، اذا ما تطلب الأمر تدخلا سريعا وفعالا من احدى القوتين الأعظم هنا أو هناك خارج أراضيهما .

٤ — ويرى الجنرال بوفر رئيس معهد الدراسات الاستراتيجية الفرنسية أن القوات الجوية اذا ما استخدمت وتوفرت لها الحماية الكافية فانها تستطيع أن تحافظ على قوتها لدى الجانبين ، وهذا من شأنه ان يمنع أى من الجانبين من تحقيق تفوق جوى حقيقى .

ان الطريق للحصول علي تفوق جوي طريق طويل شاق ويستغرق وقتا طويلا لأن كفاءة القاذفات فى تدمير الطائرات على الأرض بالمطارات أصبحت أقل بكثير عما كان الأمر عليه فى الماضى اذا لم تكن هذه القاذفات تتعرض لخطر كبير اثناء تنفيذها لمهامها .

مكانة المشاة :

يرى الخبراء العسكريون الغربيون ان حرب اكتوبر قد اثبتت أن الاسلحة التى كانت تتفوق فى أرض المعركة وهى الدبابة والطائرة أصبحت قابلة للانثلام (معرضة) للاسلحة التى دعمت بها المشاة وهى اسلحة المدفعية مثل القذوفات الموجهة المضـادة للدبابات واسلحة الدفاع الجوى المحمولة مثل سام ٧ ورد آى ، وكلها اسلحة محمولة يعمل عليها أفراد قلائل . ويرون أن الخطأ الذى تسبب لاسرائيل فى هذه النكبة هو أنها خلال الست سنوات الماضية اهملت تطوير سلاحين مقاتلين رئيسيين وهما المشاة والمدفعية . ونرى أن ظهور أسلحة المدفعية المتطورة التى تدعم بها الوحدات والوحدات الفرعية من المشاه والتى ستدخل فى تنظيم المستويات المختلفة منها ستحدث تطورا فى التكتيك وستعيد الى الخدمة الجندى الميكانيكى ليقف جنبا الى جنب مع الدبابة ان لم يتفوق عليها .

التدمير ضد المناورة :

قال ونستون تشرشل أن الحروب تكسب بالمذابح أو بالمناورة . ويعتمد التساؤل بالنسبة لحرب ما الى اى نوع تنتمى على عوامل كثيرة تكنولوجية واجتماعية ونفسية . فحرب الايام الستة كانت حرب حركة فالكثير من الوحدات المصرية لم تر العدو الاسرائيلى ولم تشتبك معه وانما وجدت نفسها تنسحب بأوامر القيادة العليا دون علم بمجريات الامور حولها . وبالنســبة لحرب اكتوبر ومع استبعادنا للحركة المسرحية الاسرائيلية وهى الثغرة يمكن القول بأنها تنتمى الى النوع الثانى . فلا يوجد اختراق عميق أو اعمال تطويق واسعة ، وانما شوهد اقتحام لمانع مائى قوى وتدمير لخط حصين ولقوات تدافع عنه ، وتدمير لحشود من الدبابات فى معارك متلاحمة انتصر فيها القذوف الموجه المضاد للدبابات على الدبابة م — ٦٠ الامريكية . لقد تغلب التكتيك على الفن التعبوى

والاستراتيجية وتفوق الاستنزاف على الحركة والتدمير على المناورة . لهذا يرى الخبراء العسكريون أن حرب اكتوبر قد قدمت للتطور في العلوم العسكرية أكثر بكثير مما قدمته حرب الستة ايام عام ١٩٦٧ .

القوات البرية :

يرى الجنرال بوفر أنه كي يكون الدفاع قويا يجب ان تتوفر له كثافة اكبر في الاسلحة المضادة للدبابات وعمق أكبر . وهذا أمر يصعب تحقيقه في حالات كثيرة . وان تحقيق الثبات للدفاع يعوض التاخير في وصول الاحتياطيات .

كما يرى أن المهاجم ان يكون على علم ودراية بما هو مقدم عليه ، وأن يكون رد فعله سريعا وحاسما ، وهذا يتطلب مواصلات جيدة وسيطرة ممتازة .

وهو ينادي بلا مركزية السيطرة واعطاء المبادرة للقادة الاصاغر حتى يمكنهم التصرف طبقا للموقف .

ويرى أن العمليات الليلية ستكون السمة السائدة في المستقبل ويجب لكي تعمل القوات البرية بنجاح أن يتوفر لها غطاء جيد سواء بالصواريخ ارض جو او بالقوات الجوية .

وانه من الصعب أن نقدر النتائج الحقيقية التي يمكن للقوات البرية في حالة عدم توفر غطاء جوى مناسب لها . ولكن هذا لا يمنع من الاصرار على تنفيذ المهمة اذا ما تعثر الغطاء الجوى لأى سبب من الأسباب .

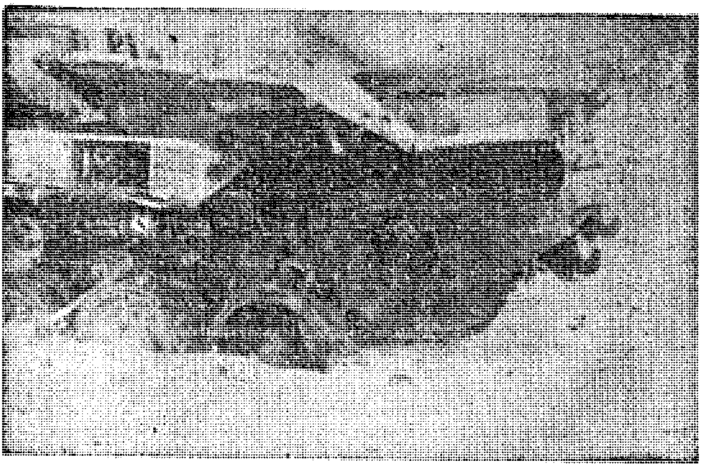
دروس على المستوى الاستراتيجي :

١ - نظرا لوجود قوتين اعظم ومع احتمال التهديد بحرب ذرية اذا ما اتسع نطاق العمليات جعل اى حرب تقوم في مناطق عديدة من العالم حربا محدودة سواء من حيث المدة أو الهدف مهما كانت الخسائر الناجمة عنها .

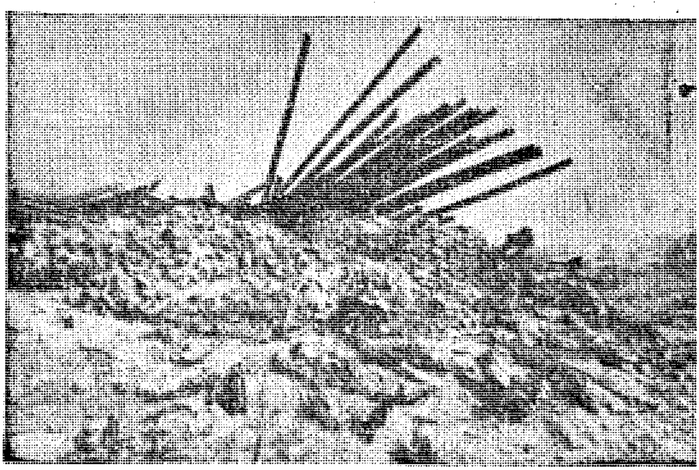
٢ — يرى الجنرال بوفر ان اى حرب محدودة هى ظاهرة تجمع بين السياسة والاقتصاد والدبلوماسية والعمل العسكرى . والدور الذى يقوم به العسكريون هو دور من أدوار الاوركسترا التى تعزف سيمفونية الحرب ، ولذلك لا يمكنهم ان يقوموا بعزف منفرد . وهذه سمة من سمات الحرب المحدودة فى الوقت الحاضر .

٣ — لقد انقذ التدخل الامريكى اسرائيل من هزيمة كاملة ساحقة فساعدوها بجسر جوى ضخم كما هيئوا لهم الظروف لعمل جسر على القناة كان الهدف منه نفسيا وليس عسكريا لانهم — على حد تعبير بوفر — يعرفون أن قواتهم فى الثغرة ستكون عرضة للتدمير الكامل ، ولكنهم بنوا خطتهم على اساس ان وقف اطلاق النار سيحدث نتيجة ضغط عالمى قوى وسيؤدى ذلك الى تدعيم راس الجسر الضعيف الذى اقاموه اعتمادا على الخداع وليس القتال . ان الجانب الاسرائيلى عندما قام بذلك اغفل التوازن الدقيق الذى تنص عليه أسس الحرب المحدودة ، فلقد ارادوا أن يحفظوا ماء وجههم نتيجة ما حدث فحاولوا خلق انتصار كاذب ليظهروا أمام العالم بمظهر من استرد كرامته وان يحدثوا على العرب تأثرا معنويا قد يؤتى ثمرته فى تفكيك الوحدة العربية التى احدثها الانتصار المصرى السورى عليهم .

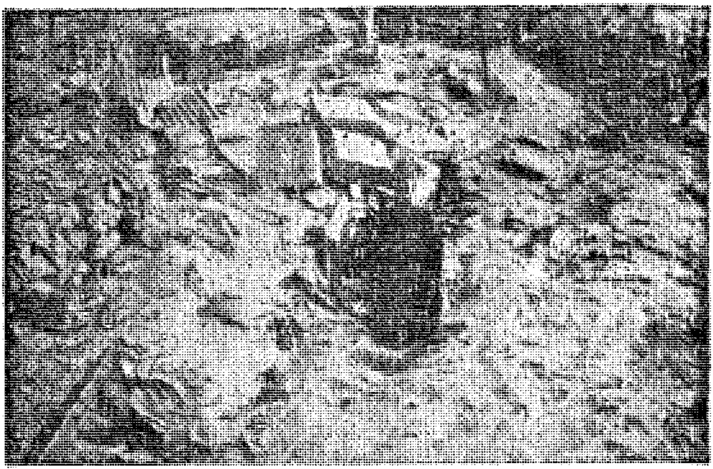
٤ — ان سباق التسليح الكمى والكيفى زادت حدته بعد فصل القوات وخاصة من الجانب الاسرائيلى لأنهم احسوا بقوة العرب وتصميمهم وأنهم أصبحوا معرضين لخطر حقيقى كانوا يعتقدون أنه بعيد الحدوث . وتطالعنا الصحف اليومية عن زيارات المسئولين الاسرائيليين لواشنطن يطلبون السلاح . وهذا يضع العرب أمام اختبار جديد وخطير اذ يجب عليهم أن يستعدوا دائما لاخطار جديدة وأن يبنوا قوتهم الذاتية التى تقيهم المفاجآت ، وفى مقدورهم ذلك .



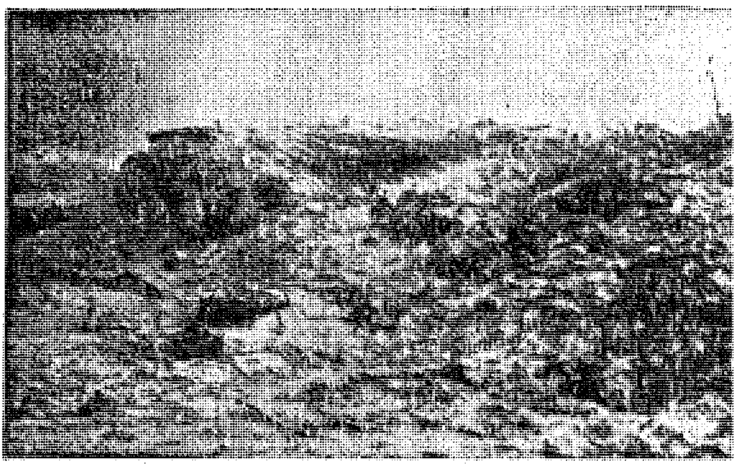
عربة مدرعة دمرتها نيران المدفعية



دشمة تطاير سقفها من ضرب المدفعية



سرداب هدمته نيران المدفعية واختنق من بالداخل



آثار ضرب المدفعية في صحن نقطة قوية

رقم الايداع بدار الكتب ٤٨٣٨/١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أدت المدفعية المصرية دورها فى حرب العاشر من رمضان ــ وكما أدته فى جميع المعارك التى خاضتها فى ماضيها وحاضرها ــ على أكمل ما يكون الاداء ، وكما سوف تؤديه فى مستقبلها .

ان المهام التى حققتها المدفعية خلال مراحل المعركة المختلفة منذ عام ١٩٦٧ فى مرحلة الصد والردع والاستنزاف واقتحام القناة والاستيلاء على رؤوس الكبارى كانت مهام خطيرة وبدأت المعركة بتمهيدها النيرانى وفرضت ارادتها كاملة على أرض القتال ومكنت مشاتنا ومدرعاتنا من تحقيق أهدافها . وكان للمدفعية اليد الطولى ولا تزال فى ردع العدو فى عمق أعماقه .

لقد تدافع رجال المدفعية لتأدية واجبهم ، واستشهد منهم من استشهد وهو يقاتل على مدفعه لم يتركه قط حتى ذاق الممات يحدوهم فى ذلك تقاليدهم وأصالتهم .
اننا نحييهم رجالا آمنوا بوطنهم وثورتهم وبحقهم فى حياة حرة كريمة .

أنور الســادات

